حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحَّد للكتاب

دار الكتب الوطنية - بنغازي – ليبيا

هاتف: ٩٠٩٧٠٧٤ – ٩٠٩٦٣٧٩ - ٩٠٩٠٥٠٩

بريد مصور: ٩٠٩٧٠٧٣

البريد الإلكتروني: nat_lib_libya@hotmail.com

رقم الإيداع: ٣٨٨ / ٢٠٢٣

ردمك: ١ – ٠ – ٩٧٤٥ – ٩٩٥٩ - ٩٧٨

الناشر: الهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية - طرابلس

اصطلاح الكتائب الليبية

مدينة مسلاتة نموذجًا

تأليف

أ. رمضان عمر عفان

مراجعة

اللجنة العلمية بالهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله العليِّ الأكرَم، ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، وصلى الله وسلَّمَ على نبيِّه القائل: (خيرُكم مَن تعلَّمَ القرآنَ وعلَّم)، محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه والعشَرةِ الأنجُم، لا سيما مَنْ مِنْ فيه المسكُ لدى التلاوةِ يُشَمّ، وراويه الذي هو عن غيرِ القراءةِ أصمّ، ما جرى على اللوحِ بمِدادِه قَلَم، وما تلا تالٍ وارتقى واعتصم، وبعدُ:

فإنه لمْ يزَلْ لقراءةِ الإمامِ نافعٍ ظهورٌ بالمغربِ الإسلاميِّ وما حاذاهُ، مُذْ قَدِمَ بها الغازي بنُ قيسٍ الأندلسَ، ومُذْ ذاعت على يدِ ابنِ خيرونَ الأندلسيِّ في إفريقيَّةَ[1]، حتى صارت هذه القراءةُ صِبغةً عامةً للمغربِ العربي الإسلامي، يُثَنَّى بها حالَ توصيفِ الواجهةِ الدِّينيةِ فيُقال: المغربُ مَدَنيُّ المَذهبِ والقراءةِ.

وقد كان لأهلِ هذا القُطرِ المبارَكِ -ليبيا- من جُملةِ الرواياتِ عن نافعٍ اختيارٌ ترجَّحَ عندهم: روايةُ قالونَ ابنِ مِينا، من طريقِ أبي نشيطٍ المروزي، اعتمدوها ومارسوها، ولم يزالوا عليها عاكفين، ما خلا بُرهةً يسيرةً من الدهرِ نازعهَا فيه مَقْرَأُ عاصمٍ، حين حَمَلَتِ الدولةُ العُثمانيةُ الناسَ أطْراً على روايةِ حفصٍ عن عاصِمٍ[2]، لكنَّها لمْ تَلْقَ طاعة.

وبالنظر إلى تعدُّدِ الوجوهِ والطُّرقِ عن الإمامِ قالونَ، واختلافِ المذاهبِ المعتبرةِ في رسم المَصاحفِ الموافقةِ لروايته، وتغايُرِ الخطوطِ وعلاماتِ الضَّبطِ

(١) يُنظر: غاية النهاية، لابن الجزري، (٢ / ١٩١).

(٢) يُنظر: تاريخ انتشار القراءات، لخليل الدراركة، (٢٦ ـ ٢٧).

في تلك المصاحف، ومُراعاةِ الأقطارِ وُقوفاً للكلمات القرآنيةِ وتقاسيمَ للقرآن مختلفةً، واستحسانِها طرائقَ للتعليمِ مُتباينةً ... لهذا وغيرِه، كان للمقارئِ والكتاتيبِ الليبيةِ اصطلاحاتٌ – لفظيةٌ وإجرائيةٌ – تميَّزتْ بها عمَّا سِواها، وفيما بينَها.

ولمَّا كانت مسَلاَّتَه إحدَى أشْهَرِ مُدُنِ ليبيا وأعرقِها من حيثُ العنايةُ بحِفْظِ القرآنِ الكريمِ وتحفيظِه؛ كانتْ خيرَ نموذجٍ تُنسَجُ عليه مباحِثُ هذا العملِ ومطالبُه، للخُلوصِ إلى اصطلاحِ كتاتيبِ هذا البلدِ – ليبيا، **وَفْقَ المنهجِ** التكاملي.

وتتحوصلُ **مشكلةُ البحثِ** في وضعِ تصوُّرٍ شاملٍ لمِا عليه الإقراءُ غيرُ المُنتظِمِ، في قالبٍ تعتمدُه المناهجُ الحديثةُ، ويهدي إلى النتائج المرجوَّة.

وتظهرُ **أهميةُ البحثِ** في ربطِه طرَفَ خيطِ الماضي بطرفِ خيطِ الحاضرِ بانسجامٍ، فيُوثَّقُ الغابرُ وتُجْنَى ثَمراتُه، ويُؤَصَّلُ للحاضرِ وتُتفادَى هَناتُه، ويُستشرَفُ مستقبلُ هذه الكتاتيب، ويُؤرَّخُ لهذه الحقبة من الزمن.

وكانت **حدودُ البحثِ الزمنيةُ** نحوَ قَرنٍ ورُبعِ قرنٍ، أي: ما بين عامي (١٩٠٠ – ٢٠٢٢م).

وأما **الحدودُ المكانيةُ** للبحثِ فهي مدينةُ مسلاته؛ بِرًّا من المؤلِّفِ بها، فهي مدينتُه التي لم يرتحل عنها لأجل الطلب، وكذلك لاشتهارِها بين المدنِ بالقراءة والإقراء.

وقد **اعتمدتُ في دراستي** هذه على ما تناولتهُ بعضُ المقالاتِ والكُتبِ المهتمَّةِ بتاريخِ المدينةِ، وعلى ما شافهني به بعضُ المشايخِ الذين عاصروا تلك الحقبة، وخاصةً الذين لازمتُهم وأفدتُّ منهم –زمنَ الطلب– تاريخَ الإقراء، كالشيخين: إبراهيمْ الزنيقري، وصالحْ سالم كشيدان، رحمهما الله تعالى! والشيخ عبد اللطيف

الزنيقري، حفظه الله وجزاه عن كل حرفٍ من القرآن عَلَّمَنِيهِ خير الجزاء! وكذلك ما أفدتُّه من زملاء الكُتَّابِ وزملاءِ التعليم النظامي وغيرهم.

ولـمَّا كان المقامُ مقامَ إيجازٍ واختصارٍ، أَضربتُ عن الترجمةِ للأعلامِ، والمدن، والقبائل، واكتفيتُ بتوثيقِ النقولِ والآثار.

ثم إنني **هيكلتُ** الكتابَ على: تمهيدٍ، وستة مباحث، وخاتمة، وتوصيات، تحت عُنوان: «**اصطلاحُ الكتاتيبِ الليبيةِ – مدينة مسلاته نموذجاً**» فكان على النحو الآتي:

* **تمهيد**: يحوي تعريفاً بالاصطلاح، وآخرَ بالكتاتيب، وثالثًا بمدينة مسلاته.

* **المبحثُ الأول**: اصطلاحاتُ أركان العملية التعليمية، فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اصطلاح المعلِّم.

المطلب الثاني: اصطلاح المتعلم.

المطلب الثالث: اصطلاح أدوات التعليم.

* **المبحث الثاني**: اصطلاح الوسائل التعليمية، فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اصطلاح وسائل التلقي.

المطلب الثاني: اصطلاح وسائل الاستظهار وإتقانه.

المطلب الثالث: اصطلاح ضبط المتشابه.

* **المبحث الثالث**: الاصطلاح التحريري، فيه مطلبان:

المطلب الأول: اصطلاح الرسم.

المطلب الثاني: اصطلاح الضبط.

* **المبحث الرابع**: الاصطلاح الأدائي، فيه مطلبان:

المطلب الأول: اصطلاح التلاوة.

المطلب الثاني: اصطلاح الوقف والآي.

* **المبحث الخامس**: الاصطلاح الشكلي، فيه مطلبان:

المطلب الأول: اصطلاح أسماء السور.

المطلب الثاني: اصطلاح تجزئة القرآن.

* **المبحث السادس**: الاصطلاح الفقهي، فيه مطلبان:

المطلب الأول: اصطلاحُ الكتبِ العلمية الـمُدرَّسةِ في الكتاتيب.

المطلب الثاني: المسائل الفقهية المتعلقة بالعملية التعليمية.

* **الخاتمة**: النتائج والتوصيات.

* **ثبتُ المصادر والمراجع**.

* **المحتويات**.

تمهيد

يحوي التمهيدُ تعريفاً بالاصطلاحِ، وتعريفا بالكتاتيبِ، كلٌّ منهما على حِدَتِه، وباجتماعِهما يَظهرُ المُرادُ مِن عنوان الكتاب وفحواه، ثم بإضافة العنوان إلى المدينة المُترجَم لها تُقيَّدُ تلك الاصطلاحاتُ مكانيّا.

أولا: تعريف الاصطلاح:

قال الزَّبيدي: «الاصطلاحُ: اتفاقُ طائفةٍ مخصوصةٍ على أمرٍ مخصوص»(١).

وفي لسانِ أهلِ المدينةِ -مسلاته- يُطلَقُ على الاصطلاح: «السِّبْرِ»، أو «المايِر»، أو المتعارف عليه، أو العُرف، أو الطريقة، أو «سْبِيلْ العادة» ... كلُّها مُرادفاتٌ للاصطلاح.

ثانيا: تعريف الكتاتيب:

الكتاتيبُ جمعُ كُتَّاب، وفي المعجم الوسيط: «الكُتَّابُ: مكانٌ صغيرٌ لتعليمِ الصبيانِ القراءةَ والكتابةَ وتحفيظِهم القرآن»(٢).

وفي لسان أهلِ البلدِ -مسلاته- يُطلَقُ على الكُتَّابِ قديماً «الخَلوة»، وحديثا «الجامع» أو «الفصل» أو «المركز»، ولا تُتَداولُ كلمةُ الكُتَّابِ بالمعنى المستخدم في طرابلسَ، وإنما الكُتَّابُ في عُرفِ كتاتيب مسلاته: موضعُ الكِتابةِ من مكان التحفيظ

(١) تاج العروس، للزبيدي، مادة: صلح، (٦ / ٥٥١).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة: كتب، (٧٧٥).

خاصة، أي: الحلقة التي يُملي فيها الشيخ على تلاميذه، فهو أخصُّ من الخَلوةِ أو الفصل، فالكُتَّابُ على هذا جمعُ كاتِب، من باب إطلاق الحالِّ وإرادة المحل.

فيتحصَّلُ مما سبق أنَّ «**اصطلاح الكتاتيب الليبية**»: ما تعارفت عليه حِلَقُ تحفيظِ القرآنِ الكريمِ مِنَ المُفرداتِ، والأدواتِ، والسُّبُلِ، والمناهجِ، والآدابِ، ونحوِ ذلك.

ثالثا: التعريف بمدينة مسلاته(١):

مْسَلَّاتَه مدينةٌ تقع شمال غرب ليبيا، على بُعد (١٢٥) كيلو متر شرقَ طرابلس، يبعد مركزُها عن ساحل البحر نحو (٢٥) كيلو متر، يحدها شمالا وشرقا مدينة الخمس، وجنوبا وشرقا مدينة ترهونة، وغربا مدينة قصر الأخيار، وأرضُ مسلاته جبلية، فهي امتداد لسلسلة جبال نفوسة، ترتفع المدينة عن سطح البحر نحو (٢٠٠) متر، ويسمى مركزها (القصبات)، يقطُنها – حسب إحصائية منظومة الرقم الوطني لسنة ٢٠٢٠ م نحو (١٠٤٠٠٠) نسمة، تُعرَف المدينةُ بعنايتها بحفظ القرآن الكريم، وتشتهر بزراعة شجر الزيتون، وإنتاج زيته، ومن أبرز معالمها جامعُ المجابرة، فقد كان ولا يزال معقلا دينيا، يتـخرَّجُ فيه أكثرُ الحفظةِ إتقاناً، وكذلك كان مَعْلَماً سياسيا؛ ففيه تأسست أولُ جمهورية في الوطن العربي، هي الجمهورية الطرابلسية، بتاريخ ١٦ / ١١ / ١٩١٨م، ومن أبرز مشايخ المدينة في حفظ وتحفيظ القرآن الكريم:

(١) يُنظر: معجم البلدان الليبية، للطاهر أحمد الزاوي، (٣١٥)، وصف إفريقيا، للحسن الوزان الفاسي، (٢/ ١١)، إفريقيا، لمارمول كربخال، (٣ / ١٢٩)، كتاب فعاليات المسابقة الثانية عشرة بمسجد المجابرة- مسلاته، الجمعية الأهلية (٤٦ – ٧١)، ويكيبيديا.

١- عبد الله بن محمد بن عزوز، مواليد ١٧٦٠م.

٢- بن علي الأربد بن علي، مواليد ١٨٠٥م.

٣- أحمد محمد أحمد العالم، مواليد ١٨١٣م.

٤- موسى ميلاد جبيرة، مواليد ١٨٣٠م.

٥- رجب علي أبو جناح، مواليد ١٨٨٠م.

٦- الفيتوري محمد كشيدان، مواليد ١٩٩٠م.

٧- عبد السلام محمد القاضي، مواليد ١٨٩٠م.

٨- رمضان محمد الجربي، مواليد ١٩٠٦م.

٩- محمد مفتاح الدبار، مواليد ١٩١٠م.

١٠- سالم ميلاد قنباشة، مواليد ١٩١٠م.

١١- منصور السنوسي الإنداري، مواليد ١٩١٥م.

١٢- عبد الله عبد الرحمن الخمري، مواليد ١٩١٨م.

١٣- المبروك إبراهيم العماري، مواليد ١٩٢٠م.

١٤- على يوسف حديد، مواليد ١٩٢٥م.

١٥- عبد الله علي التويمي، مواليد ١٩٢٥م.

١٦- نصير سالم نصير، مواليد ١٩٢٦م.

١٧- عمران الفيتوري كشيدان، مواليد ١٩٣٤م.

١٨- عمران علي التومي الزقلوط، مواليد ١٩٣٤م.

١٩- المبروك محمد البدوي، مواليد ١٩٣٦م.

٢٠- إبراهيم محمد الزنيقري، مواليد ١٩٣٩م.

٢١- النوري سالم العربي، مواليد ١٩٤١م.

٢٢- معمر مفتاح الشعافي، مواليد ١٩٤٤م.

٢٣- علي مفتاح الخمري، مواليد ١٩٤٥م.

تاريخ الكتاتيب الليبية:

والكتاتيبُ في المغربِ الإسلاميِّ عموماً عَريقةٌ عراقةَ الإسلامِ فيه، «حكى غياث بن أبي شبيب قال: كان سفيان بن وهب - صاحب رسول الله ﷺ- يمر علينا، ونحن غِلمة بالقيروان، فيسلّم علينا في الكُتَّابِ، وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه»[(١)].

وقد دخل الدينُ الإسلاميُّ ليبيا على يد الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه، فقد فُتحت برقةُ سنة (٢١) للهجرة صُلحا، بينما فُتحت طرابلسُ سنة (٢٢) عنوةً[(٢)]، وكان بدهيّا أن يكون القرآن الكريمُ مع العقيدةِ الإسلاميةِ، والأحكامِ الفقهية، والأمورِ الشعائرية - دعامةَ هذا الفتح وغايتَه، فقُرِئَ القرآنُ الكريمُ في المحاريب، وعُلِّمَ في الكتاتيب، غير أنه لا يُعلَمُ يقيناً زمنُ دخول قراءةِ نافعٍ إلى هذا القُطر، ولا شخصُ من أدخلها، وأما رجالُ القراءةِ وعلماءُ القراءاتِ؛ فأقدمُ مَن وصلَنا خبرُه ممن استوطن هذا القطرَ، هو عليُّ بنُ النمر الأطرابلسي، من قُرَّاء أواخرِ القرن الهجري الرابع ومطلع الخامس، وهو أحد شيوخ الإمام المقرئ أبي القاسم الهذلي، صاحب كتاب الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، المتوفى سنة (٤٦٥) للهجرة[(٣)].

---

(١) آداب المتعلمين، لابن سحنون، (٣٣).

(٢) ينظر: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، للطاهر الزاوي، (٣٦ - ٥٥).

(٣) يُنظر: غاية النهاية، لابن الجزري، (٢ / ٣٤٧)، معرفة القراء الكبار، للذهبي (٢ / ٨١٧).

ثم الكتاتيبُ الليبيةُ عموماً والمسلاتيةُ خصوصاً بمشايخِها وقُرائها - زاخرةٌ بالقاماتِ السامقةِ، والعلومِ النافعة، والتجارب الناجعة، والمناهج الرصينة، وإنما آفةُ ذلك التنكُّرُ لجهود القُدامَى، أو الاستحياءُ من ذلك الماضي بما له وما عليه، أو التهاونُ في تدوين تاريخ تلك الحقبة من الزمن، لذلك أُهمِلت هذه المؤسساتُ الدينيةُ ورجالُها من الدراسات والكتابات، إلا ما وقع مُؤخراً من بعض الفضلاء، كالشيخ عبد الله كشيدان في برنامجه المسموع، والشيخ الدوكالي نصر في مقالاته، والشيخ حسين العايب في مذكراته، وبعض من كتب في تاريخ المدينة وتراجم أعلامها.

محلُّ الكُتَّاب وصِفتُه:

وقد جُعِلتِ الكتاتيبُ في القِدَمِ مُلحقاتٍ بالمساجدِ توابعَ لها، بل وُجِدتْ أيضا في دُورِ الأعيان والأغنياء وقصورهم، ثم اندثر هذا الأمرُ - أعني مهنةَ مُعلِّمِ أبناء القصور - لقرونٍ، والآن عادت إلى الديار الليبية لأسبابٍ كثيرة، كالثراء الفاحش الذي عليه بعضُ العوائل والمدن، والاستنكاف من مجالسة الفقراء والعامّة، وكاعتبار الأمن على أولاد الأعيان والأغنياء من اختطافهم لأجل الفداء... فجُلس لهم في دُورهم وقصورهم، وخُصُّوا بالتربيةِ والتعليم، لقاءَ أجرٍ يُعطاه المعلم، حتى كاد الوسَطُ التعليميُّ يحُدِثُ مهنةَ «شيخ شنطة» أو «شيخ مربوعة» !! وإنَّه لحريٌّ بأهلِ القرآنِ والعلمِ ألاَّ يُذِلُّوا العلمَ على مثل هذه الأعتاب، فالقرآنُ عزيز، يُؤتى إليه ولا يأتي، ولهم في الإمام مالك أسوة حسنة.

ثم الكُتَّابُ إن كانَ بمسجدٍ أو جامعٍ يشتملُ على مَلاحَقَ تُتخذُ لمَبيتِ الآفاقِيِّ وراحتِه وإعاشتِه، فهو «الزاوية»، كزاويةِ الدوكالي، والجعراني، والفاسي، وجبيرة... وغالباً ما تضمُّ الزاويةُ حُجُراتٍ لتلقي العلوم الشرعية واللغوية، ويكون لها ريعٌ من

أحباسِها – أشجارٌ وعقاراتٌ – يُنفَقُ به على الدارسِ والمُدرِّسِ، كما أنها تضمُّ في الغالبِ قُبورَ بعضِ أشياخِها ممن تُعتقَدُ ولايتُه وصلاحُه[1]، ومواضعَ للذِّكرِ الجماعيِّ البِدعي.

وإن لا يشتملِ المسجدُ أو الجامعُ على ذلك، فهو «مركز تعليمي»، أو «مركز تحفيظ القرآن الكريم»، كجامع المجابرة، وجامع خلِفْتَه، وجامع الإسراء... وقد كانتْ هذه المراكزُ بمثابةِ روافدَ تمُدُّ الزوايا بالطُّلابِ شِبهِ الناضجين، ليَجمعوا إلى ما تعلَّموه من القرآنِ ومبادئِ الكتابةِ علومَ الشريعةِ والعربيةِ.

وبعضُ المعلمين يُدرِّسون الصبيانَ في المساجد ذاتِها، محلِّ الصلاة، ويُسمَّى محلُّ الصلاةِ في العُرف الكتاتيبي: «البِيتْ»، وقد سُئل الإمام مالك عن تعليم الصبيان في المسجد فقال: «لا أرى ذلك يجوز، لأنهم لا يتحفظون من النجاسة، ولمْ يُنصَبِ المسجدُ للتعليم»[2]، وقد روى ابنُ سعد أن عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر ﷺ لـمَّا أرادا تعليم الناسِ القرآن الكريم بالكوفة؛ ابتنيا دارا إلى جانب مسجدهما، ولمْ يُعلِّما الناس فيه[3].

وللتلميذِ مجلسُه من الكُتَّابِ بنَظَرِ الشيخِ وأمره، لا يتحوَّلُ عنه إلا بإذن الشيخ، وفائدةُ توطُّنِ التلميذِ في مكانٍ لا يبارحه تظهرُ في سهولةِ معرفةِ الشيخ للحاضر والغائب من الطلبة، كذلك الشيخُ يضعُ الطالبَ بجوارِ الطالبِ بمعايِيرَ معروفة، كالسِّنِّ، والصداقة، والعداوة، والقرابة، والخُلُقِ، وما أشبه، فإنَّهُ يحُال بين كلِّ صدِيقَين

(١) وقد ثبت النهي عن اتخاذ القبور مساجد، ففاعل ذلك مخالف للهدي النبوي، وقد وصفه ﷺ بأنه من شرار الخلق عند الله، يُنظر صحيح البخاري (١٣٤١).

(٢) آداب المتعلمين، لابن سحنون، (١١٤).

(٣) يُنظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (٨ / ١٣٦).

أو صغيرينِ بطالبٍ لا يُناسبُهما؛ كي لا يُمضِيا وقتَ الدراسةِ في الحديث الجانبي، وكذلك يُتَّقَى هذا الأمرُ بوضعِ تلميذٍ صغيرٍ بين كُلِّ كبيرين، وهكذا، ثم هذا الترتيبُ في الحلقةِ قد تُدارُ عليه الأولويةُ في التصحيح والعرض، وإن كان أكثرُ المشايخِ يعتمدُ في ذلك التبكيرَ للكُتَّاب، فيُصحِّحُ ويعرِضُ لوحَه من سبق إلى الكُتَّاب، أو يقول الشيخ: لِيأتِ من حفظ، فلا يُراعى حينئذٍ الترتيبُ الزمني ولا المكاني.

وغالباً ما تُسمَّى الزوايا، والمساجدُ، والخلاوي، بأسماءِ مَن درَّسَ فيها وكان له أثرٌ ظاهر، أو مَن قُبِر فيها أو بجوارها ممن يُعتقَدُ صلاحُه، أو بأسماءِ وقائعَ وقعت فيها، ورُبما جُهِل سببُ تسميةِ كثيرٍ منها، وفي العقودِ المتأخرة سُمِّيَ ما استُحدث منها بأسماء تدلُّ على معانٍ طيبةٍ كالتقوى، أو بأسماءِ شُخوصٍ يُقتدى بها، كأسماء الصحابة، والأئمة، والعلماء.

وقد بلغ عددُ الزوايا ومراكزِ تحفيظ القرآن الكريم بمدينة مسلاته حسب إحصاء سنة (٢٠٢٢هـ) نحوَ (٨٧) مركزاً، بها (٢٥٦) مدرساً، و(٥٩) مُدَرِّسةً، ونحواً من (٥٠٠٠) طالبٍ وطالبةٍ.

وللمساجد والزوايا أوقافٌ يُقَسَّمُ ريعُها عادةً على ثلاثة: قِسْمٌ يُرَدُّ على المِعلِّمِ والمُتعلِّم، وقسمٌ يُخصَّصُ للوافدين على المدينة والمقيمين بالزاوية، وقسمٌ يُردُّ في مصالح الوقف نفسِه، يقوم بذلك الناظرُ ووكلاؤه[1].

(١) يُنظر: مسلاته في العهد العثماني الثاني، لغيث العربي (١٦٩).

سلاته 1926

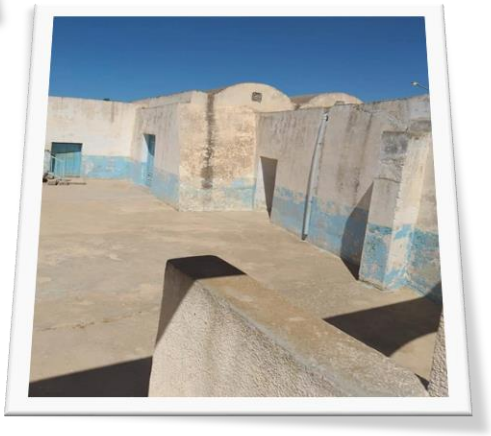

المبحث الأول
اصطلاحاتُ أركان العمليةِ التعليمية

إنَّ للعمليةِ التعليميةِ أركاناً تقومُ عليها، وهي أربعة: المُعلِّمُ، والمتعلِّمُ، والعِلْمُ، وأدواتٌ مُستعملةٌ في التعليم، فأمَّا العِلْمُ -وهو هنا القرآن الكريمُ وعلومه – فتناولتُه في مباحث لاحقة؛ لطولِ مسائله، ثم الثلاثةُ الباقيةُ مُحيطٌ أو وِعاءٌ له، وهي محلُّ الدراسة في هذا المبحث.

المطلب الأول: اصطلاحُ المُعلِّمُ

الـمُعلِّمُ هو صاحِبُ أمرِ الكُتَّاب، فهو الذي يتولَّى الإقراء فيه، يُملِي على الطُلاب، ويُصححُ لهم إملاءَهم، وعليه يُعرَضُ الـمُملَى، ثم يُشرِفُ على تعاهُدِ المحفوظِ.

ويُسَمَّى مُعلِّمُ القرآنِ ومبادئِ العربيةِ في صدر الإسلامِ مؤدِّباً، ويُسمَّى في عُرف الكتاتيب قديماً: «الفقي» أو «الفقيه» أو «الشيخ»، وإذا خوطِبَ من قِبَلِ طُلَّابه حُلِّيَ بالسيادةِ فقيل: «سِيدي الشيخ»، وعلى «الشيخ» مجُرَّداً استقرَّ أمرُ الناس اليوم، وهو باعتبار السِّلْكِ الوظيفيِّ «مُحفِّظٌ».

منزلةُ المعلِّم بين الناس:

مُعلِّمُ القرآنِ في قومه مُوَقَّرٌ مُقدَّمٌ، يُستشارُ في البيوع، والأنكحة، ويُقصَدُ للإصلاحِ وفَضِّ النزاع، لا يتمُّ فرَحٌ ولا ترَحٌ إلا بحضوره، ولا تُقسَمُ تِركةٌ إلا برأيه

وشهادته، يَرقِي المرضى، ويفكُّ أنواعَ السحر، ويُستنصحُ ويُستفتَى وإن لم يكن مؤهلاً، بل يُعفَى من الـمِيري (الضرائب) التي كانت تضربها بعضُ الحكومات السابقة على الناس، كما تُثبتُ هذا وثائقُ المدينة في العهد العثماني(١).

مراتب المشايخ المعلمين:

الأصلُ أن يكون كلُّ معلِّمٍ مستقلاً بُكتَّابه، وهو الأمر الغالب على المعلّمين، وأعلى من «الشيخ» الـمُستقِلِّ بكُتَّابِهِ «شيخُ الزاويةِ»، كشيخ زاوية الدوكالي: الشيخ رجبْ أبو جناح، فإن الزاويةَ – في العادة – تضُمُّ عدداً من الكتاتيب، يكون لها كبير يتولى سياسة الزاوية، ويُسمَّى اليوم «مدير مركز التحفيظ».

وأدنى من الشيخ المستقلّ «شيخُ الكُتَّابِ»، ويُسمَّى أيضا «العريف»، وهو في الغالبِ أنجبُ طُلابِ الشيخ، أو مَن أنهى حفظَهُ وينتظرُ الإجازةَ، فيُوكِلُ إليه الشيخُ بعضَ أعمالِه، كالإملاء، وتلقينِ صغار الطلبة، وتسجيل اسم المشاغبين، وقد جَوَّزَ الإمامُ مالكٌ اتـخاذَ العريفِ شريطةَ مصلحتِه هو، ونفاذ أمرِه(٢)، والقصد من اتـخاذه إعانةُ الشيخ، وتدريبُ العريف على التدريس، وكان النبي ﷺ إذا شُغِل، وقدِمَ عليه الرجلُ وقد أسلم، يدفعه إلى رجل من أصحابه ليُعلِّمه القرآن(٣)، وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يُقرئُ الناسَ بجامع دمشق، فيجعلهم عشرة عشرة، على كل عشرة عريف يتعاهدهم، فإذا غلط الطالب صوَّبه عريفه، وإن غلط العريف صوبه أبو الدرداء(٤).

(١) يُنظر: مسلاته في العهد العثماني الثاني، لغيث العربي، (١٣٤ – ١٣٧).

(٢) يُنظر: آداب المعلمين، لابن سحنون(١٢٣).

(٣) يُنظر: المستدرك، للحاكم، برقم (٥٥٢٧).

(٤) يُنظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٢ / ٣٥٣).

مؤهِّلُ المُعلِّم وكفايتُه (الإجازة والإسناد):

وإنما يُبْلَغُ هذا المقامُ -مقامُ المشيخة- بالإجازة، وهي غيرُ الإسناد، **فالإجازةُ**: هي الإذنُ بالقراءةِ أو الإقراءِ أو هُما معاً، وكانت تُتَحصَّلُ بمنطوقِ الشيخِ أو مكتوبِه، بعد أن يَعرِضَ التلميذُ القرآنَ على شيخِه غَيباً من الفاتحةِ إلى الناس، وبعضُ المشايخِ يشترطُ للإجازةِ أنْ يُملِيَ الطالبُ في حلقةِ شيخِه ويُصحِّحَ الألواحَ سنةً كاملةً، وبعضُهم يكتفي بستةِ أشهُرٍ، ويشترطُ بعضُ المشايخِ للإجازةِ تَسليماتٍ من صلاةِ التراويحِ يتولاها الطالبُ في مسجدِ شيخِه أو غيرِه[1]، ثم آلَ أمرُ الإجازةِ في العقودِ المتأخرةِ إلى إفادةٍ يُعطاها طالبُها من بعض المؤسساتِ الدينية، كالمعاهد والثانويات الشرعية، وكانت منارةُ الدوكالي تفعل ذلك، ثم استقرَّ الأمرُ على عدم الاعتدادِ بأيِّ تزكيةٍ أو إجازةٍ سِوى الإجازةِ الممنوحةِ من هيئةِ الأوقاف، بعد اجتيازِ الطالبِ امتحاناً شفوياً وآخرَ تحريريا، وأخيراً ألزمَتِ الهيئةُ العامةُ للأوقافِ والشؤونِ الإسلاميةِ المُمْتَحَنِينَ بمنهجٍ عِلْمِيٍّ - زيادةً على الامتحانِ الشفويِّ والتحريريِّ- يتضمنُ كتاباً في أحكامِ التجويد وآداب حملةِ القرآن، وآخرَ في أصولِ الرواية، وثالثاً في الرسمِ والضبطِ؛ رفعاً لكفاءَةِ الحَفَظةِ والمُجازِين، وتعدل إجازة القرآن الكريمِ الممنوحةُ من الهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية درجة

(١) مقابلة مع الشيخ عبد الله سالم كشيدان، شهر رمضان ٢٠٢٠م، وفي بعض المدن الليبية تكون الإجازة بثُمُنٍ يُختارُ للطالب، يكتبه في لوحه من حفظه، ثم يُعلَّقُ اللوح على باب الكُتَّابِ أو الزاوية، ينظر فيه الداخل والخارج، فإن سلِمَ له حفظُه ورسمُه وضبطُه؛ أجيز، وإن وُجد فيه خطأ -مهما تضاءل- أعادَ القرآن قلماً آخر، وبعضُ الكتاتيب تشترطُ للإجازةِ ستين ختمةً متتابعةً، يختمها المستجيزُ في شهرين، أي: ختمة كاملة في كل يوم.

الليسانس، أي الدرجة الوظيفية الثامنة، وبها يُمكَّنُ الـمُجاز من بعض الوظائف في مؤسسات الدولة.

وأما **الإسنادُ**: فأَنْ يخْبِرَ الشيخُ تلميذَهُ عمَّن أَخذَ القراءةَ بسنده المتصل إلى النبي ﷺ، والإسنادُ من خصائص هذه الأمة، وفيه بركةُ اتصالِ العلوم، فإن اجتمع للتلميذِ إخبارٌ بالسندِ وإذنٌ بالقراءةِ والإقراءِ صارَ مجُازاً مُسنِداً، ولمْ تحْفَلِ الكتاتيبُ الليبيةُ بأسانيدِ القراءةِ حتى العقودِ الأخيرةِ من القرنِ الماضي، وفي مطلع الألفيةِ الثالثةِ اشتدَّ اهتمامُ الكتاتيبِ بأسانيدِ القراءةِ ومتونِ التجويدِ والقراءات، فتلبَّدَتِ المقارئُ بالأسانيدِ في كلِّ كبيرةٍ وصغيرةٍ، حتى كادوا يُسندونَ برْيَ القلَمِ وبَرْمَ العِمامة، فأصبحتِ الأسانيدُ غايةً بعد أن كانت فضيلةً، يُتنافَسُ على عُلُوِّها، ويُتبَهرَجُ بها في المجالسِ، ويحُتطَبُ لها بلَيلٍ، فأُخِذَتْ سليمةً وسقيمةً، وصِرْنا إلى شَكْوِ التخمةِ بعد أنْ كُنَّا نشكو المَسْغبة، وكان الغالبُ على المُجِيزينَ الذينَ يُقرؤون الناسَ الشاطبيةَ وأشباهها – البراءةَ من قولِ الإمامِ الشاطبي نفسِه:

تخـــيَّرَهم نُقَّـــادُهم كُـــلَّ بـــارعٍ ولـــيسَ عـــلى قُرآنِـــهِ مُتـــأَكِّلا

ثُم كسادُ كتاتيبِ هذا البلدِ من الأسانيدِ المُدوَّنةِ لا يَستلزمُ الجهلَ بعراقةِ الطريقِ التي أدَّتْ إلى روايةِ أهلِ هذا البلد، فالمؤلف –مثلاً– أخذَ القراءةَ عن الشيخ عبد اللطيف إبراهيم الزنيقري ووالدِه الشيخِ إبراهيم الزنيقري، وأخذَ الشيخُ إبراهيم عن جمعٍ من المشايخ، منهم: الشيخ عبد السلام القاضي، والشيخ منصور الإنداري، وأخذ الشيخ منصور عن الشيخ رجب أبو جناح، وأخذ الشيخ عبد السلام القاضي عن الشيخ مفتاح الأريبع، وأخذ الشيخ مفتاح الأريبع عن الشيخ الفقيه بن علي الأربد... وهكذا، كان في كل زمنٍ مشايخُ تدورُ عليهم القراءة.

عدالةُ المعلم وديانتُه وصيانتُه:

وأهلُ الكتاتيبِ في خِصالِ المعلمِ على أنه ينبغي أن يكون صاحبَ دينٍ، وخُلُقٍ، وإتقانٍ، وأن يكون مع تلاميذه مهابا، لا مُنبسطا معهم، ولا عبوساً مُغضباً، مترفقاً بهم دون لِين، ويكفي فيه سترُ الحال إذا كان ذا زوج، وأما مع العزوبةِ والتبتُّلِ فينبغي أن يُعرَف بالعَفافِ، ولهذه الاعتباراتِ جميعِها أصلٌ في كتاتيبِ الأقدمين(١).

ولم يشتغل أولياءُ التلاميذِ -منذ مطلع القرن الماضي حتى آخِر عقدين منه- بالبحث في اعتقادِ المُعلِّمِ ومنهجه، لعامِّيَّةِ جُلِّهم، وتمشعرِ وتصوُّفِ القليل منهم، وهذا القليلُ في الغالبِ غيرُ داعيةٍ إلى مذهبه، وبانتشارِ المعرفةِ ووسائلِها، وفُشُوِّ العقائدِ الكلامية، وظهور الجماعات الفكرية، بات وليُّ التلميذِ – وهو راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته – حريصاً على معرفةِ دينِ مَن يُقرئُ ابنَه، فإنه لا مُعلِّمَ يُعطي تلميذَه قُرآناً دون تأويلِ ما يشهَدُ لمذهبه ومنهجه، فالصوفيُّ داعيةٌ للقبورِ عند قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾(٢)، والحروريُّ داعيةٌ لمذهبه عند قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٣)، وللرافضيِّ تصرفه في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَنْ يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(٤)، وهكذا كلُّ مبطلٍ يفعل، قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ

(١) يُنظر: جامع جوامع الاختصار، للمغراوي، (٣٥).

(٢) سورة الكهف، (٢١).

(٣) سورة المائدة، (٤٤).

(٤) سورة آل عمران، (١٤٤).

ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[1]، وقد قال أبو إسحاق الجبنياني: «دينُ الصبي على دين معلمه»، وذكر رحمه الله أن رجلا كان يقرئ الصبيان ويخفي عقده في القرآن، ثم جاهر به تلامذته وهرب، فماتوا كلُّهم على القول بخلقه[2]، وقد حفظ لنا التاريخُ ما صنعه أبو عبد الله الصنعاني، الذي أرسلته الرافضةُ في مسلاخ معلمٍ للصبيان، فلم يزل بأهل المغرب حتى فشا فيهم الرفضُ، وغلب العبيديون على ذلك القطر، وكذلك صنع الخارجيُّ أبو يزيد مخلد اليفرني، فإنه أتى إفريقية معلما، فلم يزل بأهلها حتى أحدث انقلابا سُفكت فيه دماءُ أناسٍ لا يُحْصون[3]، لهذا لا ينبغي للوالد أن يُمكِّن من سَمعِ ولده إلا سُنِّيًّا، فإن لم يكن فعاميٌّ.

لباسُ المعلم وزينتُه:

كان زيُّ معلِّم القرآن الكريم -حتى سبعينيات القرن الماضي- «البدلة العربية القصيرة»، و«الفرملة»، و«العبا» أو «الجرد» تبعاً لفصول السنة، وكذلك على الرأسِ «المعرقة» أو «الشنَّة» السوداء، وكان من مُذهِبات المروءةِ ألاَّ يُرَى شيءٌ من «الجرد» أو «العبا» على الرأس، وهو المسمى بـ«النقاب».

ثم اصطُلِح مؤخراً على ترك «النقاب»، ثم على ترك «الجرد» و«العبا» جملة، ثم حسرت الرؤوس، وفي العقدين الأخيرين، استُعيض عن «البدلة القصيرة» بـ«البدلة الطويلة»، واستقرَّت على الرؤوس صنوفٌ مختلفةٌ من الأغطية: قُبّعاتٍ، وطاقيَّاتٍ، وعمائمَ، ونحوِها.

---

(١) سورة آل عمران، (٧).

(٢) يُنظر: مقدمة تحقيق آداب المعلمين لابن سحنون، لحسن عبد الوهاب، (٦٦).

(٣) المصدر نفسه، (١٦ - ٦٤).

وقت التدريس:

كانت الكتاتيبُ فيما مضى تشتغلُ بالتدريس بُعيدَ الفجر، حتى منتصف الليل، يتخلل ذلك أزمنة للأكل، والشرب، والراحة، والقيامِ على الشؤون الخاصة، وأزمنة الراحة -غالبا- من أول الضحى إلى الظهر، ومن العصر إلى المغرب، ومن منتصف الليل إلى الفجر(١)، ثم استقر أمرُ الزمنِ الدراسيِّ على سُويعاتٍ من اليومِ مُفترَضةٍ، تُقلِّبُها الأوقافُ بما تراه مناسبا، لا يُطْلَبُ المعلِّمُ بسواها، فإن زاد فمِن عنده، وقد خُيِّرَ المُصنَّفُ منهم بين زمنين صيفاً: من التاسعة صباحا، إلى الواحدة ظُهراً، أو من صلاة المغرب، إلى صلاة العشاء، وكذلك الأمرُ شتاءً، إلا أن منتهى الفترة الصباحيةِ الثانيةَ عشرَةَ ظُهراً.

وأما المُكافَأُ فله الخيار صيفا: ما بين التاسعة صباحا، إلى الثانيةَ عشرةَ ظُهراً، أو من صلاة العصر، إلى صلاة المغرب، أو من السادسةِ مساءً، إلى صلاة العشاء، وأما شتاء: فما بين التاسعة صباحا، إلى الحاديةَ عشرةَ ضحى، أو من الخامسة مساء، إلى صلاة العشاء، أو من المغرب، إلى التاسعة مساء(٢).

وكان الطلبةُ إذا انفضَّ مجلسُ الإقراءِ وانتشروا في الطرقاتِ يترنمون بقولهم:

سِيدي الشيخْ سرَّحْنَا ❊❊❊ حُطّ عظامهْ في الجَنَّه

والجنة مفتوحه ❊❊❊ فيها قلم ولوحه

ثم تُرِكَ هذا، وصِيرَ إلى صُنوفٍ من اللعب والشغب حول المسجد أو الكُتَّاب.

---

(١) يُنظر: مسلاته في العهد العثماني الثاني، لغيث العربي، (١٦٠).

(٢) يُنظر: اللائحة الداخلية لإدارة شؤون القرآن الكريم بالهيئة العامة للأوقاف، الصادر بتاريخ ١١/ ١٠/ ٢٠٢١م.

وقد أُخِذَ على بعضِ المُعلِّمين استعمالهُمُ تلاميذَهم في حاجتهم، وقد قال سحنون: «ولا يجوز للمعلم أن يرسل الصبيان في حوائجه»[١].

وأُخِذَ أيضاً على بعضهم اشتغالهُم وقتَ التدريس ببعض شؤونهم الخاصة، كتلاوة أورادِهم، أو حفظ متونهم، أو محادثة أصدقائهم، ونحو هذا مما عابه أهلُ العلم مما يشغل المعلّم، حتى إنهم منعوه الجنائزَ إلا لمن يلزمه النظر في أمره، وكذلك مُفارقةَ الكُتَّابِ إلا لضرورة، وإنما أُذِن للمعلمِ في الاشتغال بشؤونه وقتَ فراغِه إذا كان يَلْحظُهم ويتفقَّدُهم[٢]، ومن هنا يُعلَمُ أنَّ مغادرةَ المعلِّمِ كُتَّابَهُ لشؤونِه، وحَمْلَ طُلابِه على الأدبِ والتلاوةِ بحذاءٍ له آخَرَ يضعه أمامَ الخلوة ليُوهِمهم أنه بمَقرُبةٍ، كما يُروَى في مناقب بعضِ الشيوخِ[٣] – نقيصةٌ وقصور، لا دهاءٌ وحزم يُروَى في الفضائلِ وآدابِ التعليم.

أُجرةُ المعلم:

والـمُعلِّمُ إذْ يخُصِّصُ جزءاً صالحاً من وقتِه للإقراء؛ لخَليقٌ بأن يُعانَ على حوائجِه، وكان للمعلمِ من أولياءِ التلاميذِ عطاءٌ أسبوعيٌّ، يكون يومَ الأربعاءِ، ولذا يُسمَّى «أربحا الشيخ» من باب إطلاقِ الظرفِ وإرادة المظروف، وأهلُ مسلاته يُبدِلون العينَ حاءً في الأربعاء.

وهذا العطاءُ عِبارةٌ عن شيءٍ من الدراهمِ، أو البيضِ، أو الحبوب، أو القطاني، يُقدِّمُه التلميذُ لشيخه كلَّ أربعاءَ، ليقضي الشيخُ به حاجتَه من غَدِه –الخميس– الذي

(١) آداب المعلمين، لابن سحنون، (١٠٩).

(٢) يُنظر: المصدر نفسه، (٩٨ – ١٠٠).

(٣) يُنظر: الشيخ منصور السنوسي ومشيخته للزاوية، مقال للدوكالي نصر، فعاليات المسابقة الثانية عشرة، (٣٨ – ٣٩).

هو يومُ سُوقِ المدينة، وفي المواسم - كالعيدين - يُعطَى لحماً، أو قمحاً، أو شعيراً، ونحو ذلك[1]، وكذلك تُجعل له الحذقةُ، وسيأتي الكلام عنها في المطلب الأول من المبحث الخامس؛ لتعلُّقها بتجزئة القرآن الكريم.

وكان بعضُ المشايخِ يتقاضونَ مُرتَّباً شهرياً من المالِ، وهو مبلغٌ زهيدٌ تُقدِّمُه الدولُ والحكوماتُ المتعاقبةُ، فكان مُرتبُ الشيخ منصور الإنداري -مثلا- سنة (1942م) ستون فرنكاً[2]، ولا تزالُ الدولُ والحكوماتُ تتناوبُ على رفعِ هذا العطاءِ، فكان (٨٠) دينارا، ثم رُفِّع إلى (١٥٠) دينارا، ثم إلى (٤٥٠) دينارا، حتى استقرَّ على (١٠٠٠) دينار ليبي سنة (٢٠٢٢م).

وهل أخذُ الأجرِ على تعليمِ القرآنِ الكريمِ جائزٌ مطلقا؟

أو يُفرَّقُ بين ما يؤخذ من بيت المال وبين ما يؤخذ من المتعلمين؟ وبين ما يُشترطُ وما كان بغير اشتراط؟

وهل هو جَعالةٌ أمْ إجارةٌ؟

---

(١) يُنظر: مسلاته في العهد العثماني الثاني، لغيث العربي (١٤٨/ ١٦١)، وفي كتاتيبِ بعضِ المدن الليبية تكون أجرةُ المعلمِ -خاصةً إن كان المعلمُ طارئاً على المدينة للإقراء- يومية، وأسبوعية، وشهرية، وموسمية، فاليوميةُ: نحوُ اللبن، والحطب، والأسبوعية: نحوُ البيض، والتمر، والطحين، وشيء من الدراهم، والشهرية: ما يقبضه من الجهات الرسمية، كأحباس المسجد، أو راتب الأوقاف، والموسمية: كزيت الزيتون يوم القطاف، والحبوب والبقول يوم الحصاد، والتمر يوم الجذاذ، والشياه يوم الأضحى، والثياب يوم الفطر، ونحو ذلك، وأما الحذقة: فتتعلق بكل تلميذ على حِدَته، يقبضها المعلم متى بلغ التلميذ مواضعها.

(٢) يُنظر: مناقب علماء مسلاته الأخيار، لنصر الدين العربي، (١٥٤).

تفاصيلُ كثيرة، ومذاهبُ مختلفة، ومذهبُ الإمامِ مالكٍ الجواز[1]، لقوله ﷺ: «**إنَّ أحقَّ ما أخذتُم عليه أجرًا كتابُ اللهِ**»[2].

لكن ينبغي لحامِلِ القرآنِ ألّا يُذِلَّ نفسَه وعِلمَه بُسؤالِ الناسِ، بل الورعُ أن يَقتَصِرَ من ذلك على ما يُعطاه من خزينةِ الدولةِ، ثمَّ إن اضطُرَّ فليأخُذْ ولْيُجْمِلْ، ولا يُرَى مُتاجراً به ولا مُتكثِّراً.

(١) يُنظر: آداب المعلمين، للبن سحنون(٨٣)، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير مع تقريرات عليش، (٤ / ١٦ – ١٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الشرط في الرقية بقطيع من الغنم، رقم (٥٤٩٢).

المطلب الثاني: اصطلاح المُتعلِّم

الـمُتعلِّمُ هو التلميذ، وفي عُرف الكتاتيبِ يُسمَّى «طالبْ»، ويُجمَعُ على «طَلَبَة»، ورُبَّما ضُمَّ الطاءُ وسُكِّن اللامُ تـخفيفاً «طُلْبة».

مراتب الطلبة:

للطلبةِ مراتبُ تـختلفُ باعتباراتٍ كثيرة، تترتبُ على هذه الاعتباراتِ أمورٌ متعدِّدة، فمن ذلك: أنهم باعتبار وسيلة التلقِّي: طالبُ «رشيمة»، أو «تلقين»، أو «مَلَّا»، وسيأتي الكلام على هذه الاصطلاحات في المبحث التالي، ثمَّ هم باعتبارِ جودة التحصيل: مُبتدئٌ، ومتوسِّطٌ، ومتقدِّمٌ، ومنتَهٍ.

أما لِنحْوِ غِنىً وفقرٍ، وشرفٍ ووضاعةٍ، وحُسنٍ وقُبحٍ؛ فلا تَحَلُّ التفرقةُ، كما هو واقعُ بعضِ المعلمين، فإن فعل المعلمُ ذلك كان خائناً، كما قال الإمام سحنون(١).

فيترتبُ على هذه الاعتبارات – مثلا – اختلافُهم فيما يبتدئون به من القرآن بعد الفاتحة، آلبقرةُ فما تلاها حتى الناس، أم الناسُ فصاعداً حتى البقرة؟ كذلك مَسألةُ مَن يجُاوِرُ الشيخَ في مجلسِه عند القراءةِ بالإدارة؟ كذلك القَدْرُ الـمُمْلَى أو الـمُتعاهَدُ لكلِّ طالبٍ... كلُّ ذلك مُتَرَتِّبٌ على هذه الاعتبارات، وللشيخِ في كلِّ ما مضى ذِكرُه سُلطةُ تقديرِ المراتب، وقد كان حمزةُ بنُ حبيبٍ الزياتُ يُقْرِئُ سُفيانَ الثوريَّ خمسين آيةً، والكسائيَّ ثلاثين، واليَشكُريَّ عشْرَ آياتٍ(٢).

(١) يُنظر: آداب المعلمين، لابن سحنون، (١١٣).

(٢) يُنظر: شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني، لأبي عمرو الداني (٦٨).

دلالاتُ الفراغ من حفظ القرآن الكريم:

يُكْنَى عن خَتْمِ الطالبِ للقرآنِ الكريمِ ومُفارقتِه الكُتَّابَ بقولهم: «رمى اللوح»، وهو اصطلاحٌ مُستعملٌ في بلاد الحجاز أيضا[١]، ويُسمَّى ختمُ القرآنِ على اللوح «قلم»، والختماتُ «أقلام»، ويُقالُ في مَن حفظ القرآنَ من القلم الأول: «حفِظَ بالشُّقَّة»، ويُسمَّى القلم الثاني «أخت الشُّقة»، والبداءة فيها من البقرة حتى الناس، يكتُبُ الطالبُ من حفظه ثُمنين كل يوم.

وكان فيما مضى لا يتأتَّى إتقانُ الحفظِ غالباً إلا بثلاثةِ أو أربعةِ أقلامٍ فصاعدا[٢]، وهو اليوم حاصلٌ بقلَمٍ واحدٍ في الأكثرِ الأعمِّ.

سن التلميذ:

لم تشترط الكتاتيبُ للإقراء سِنًّا معينة، لكن جرى عُرفُها على أنَّه لا يُقبلُ إلا مَن قَدَرَ على القيامِ بشؤونه: مجيئه، وانصرافه، وقضاء حاجته، وكان إذا أُمِرَ ائْتمر، وإذا نُهِيَ انتهى، ويتأتَّى هذا غالبا في سنِّ السابعة، وذكر محمد بن سحنون: أن ذلك مُتأَتٍّ بالسنةِ الخامسة أو السادسة[٣].

جنسُ التلميذ:

ثُمَّ الذكورةُ مخصوصةٌ بتعليمِ الكتاتيبِ حتى العقدين الأخيرين من القرن الماضي، ولم يكن للإناثِ حظٌّ من هذا التعليم، بل كُنَّ متفرِّغاتٍ لخدمةِ الزوجِ، والبيتِ، والولدِ، بينما كان لأقطارِ المغرب الإسلاميِّ -كتونسَ والمغربِ- في

(١) يُنظر: الكتاتيب في الحرمين الشريفين، لعبد اللطيف بن دهيش (٥٩).

(٢) مقابلة للباحث مع الشيخ عمران الفيتوري كشيدان، سنة ٢٠٠٤.

(٣) يُنظر: آداب المعلمين، ابن سحنون، (٥٠).

هذا شأنٌ عظيم، حيثُ كانتْ النساءُ تتفقَّه في الدين، وتحفظ القرآن، وتعتني باللغة وعلومها، وقبل هذا كانت بناتُ القاضي ابنِ مسكينٍ وحفيداتُه يَغشينَ الكتاتيب، وكذلك أسماءُ بنتُ أسدِ بن الفُرات، وخديجةُ بنتُ سحنون، ولا تزال مكتبةُ جامع عقبة بن نافع بالقيروان تحتفظ بمصحفٍ خَطَّتْهُ الـمُقرئةُ فَضْلٌ مولاةُ أبي أيوبَ أحمدَ بنِ محمد(١).

ثم فُتِح للنساء بابُ التعليم القرآني في ليبيا، فالتحقت البناتُ بالكتاتيب، فحفِظْنَ وحفَّظْنَ، وأحرزْنَ مراتبَ عُلْيا في مختلف المسابقاتِ، واجتزنَ بجدارةٍ امتحاناتِ الإجازة، وبعضُهنَّ تقدَّمَ - هذا العام - لامتحان الإجازة في القراءات السبع.

وأولُ أمرِ تدريسهنَّ إنما كان على يد المشايخ من الرجال، وكُنَّ يُمَكَّنَّ من الاستجازةِ ثم التدريسِ بنصف القرآن الكريم، وبربعه، وبالأجزاء الثلاثة الأخيرة منه، ثم مُنع تدريسُ الرجال للنساء مهما كانت الأسباب، كما تنص على ذلك لائحة (٢٠١٢)، واقتُصرَ في الإجازةِ على حفظ القرآن الكريم كاملا، بنين وبنات، ويتولى امتحان النساءِ نساءٌ أمثالهُن.

لباس التلميذ:

كان للتلميذ حتى سبعينيات القرن الماضي ما لشيخه من اللباس، ثم إنه تـخلَّى عن ذلك بقدر ما تـخلى شيخُه ويزيد، بل حدث في كثير من الكتاتيبِ -مطلع هذا القرن- أن جُلِسَ للإقراء في الزيِّ الإفرنجي، ورُبَّما حملتْ بعضُ القُمصان والبنطلوناتِ صُوراً وكتاباتٍ مشينةً، وحسرت الرؤوسُ وحُلِقتْ قزعاً، إلا أن هذا

(١) يُنظر: مقدمة تحقيق آداب المتعلمين لابن سحنون، حسن حسني، (٣٨ - ٣٩).

الحال لم يدم طويلا، فقد رجع التلميذ في زيه وهيئته إلى ما يُـحْمَدُ؛ أطْراً من الـمُعلِّمِ أو رعايةً من الوالد.

المطلب الثالث: اصطلاحُ الأدوات التعليميةِ

تستلزمُ العمليةُ التعليميةُ أدواتٍ بها يُنجَزُ العملُ ويُبْلَغُ القصدُ، فمنها: أدواتُ الكتابةِ، وأدواتُ الـمَحْو، وأدواتُ التعاهُد، وأدواتُ التربية، وهذه صورٌ لبعضِ الأدواتِ في أعصارٍ وأمصارٍ مختلفة:

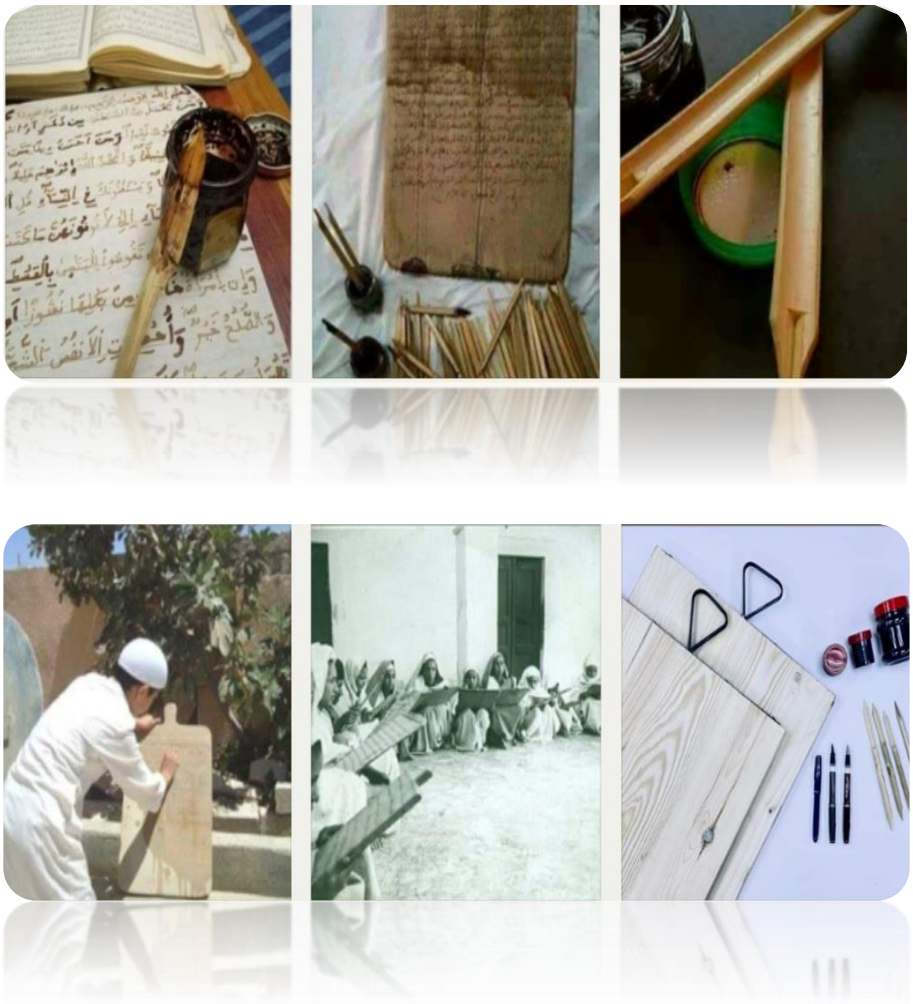

أولا: أدواتُ الكتابة:

تتمثلُ أدواتُ الكتابةِ في ثلاثةِ أشياء: اللوحُ، والقلم، والدَّواة.

أ- **اللوح وصِنوُه:** يُصنَعُ اللوحُ قديماً من خشَبِ شجَرِ الزيتون، فيكون أملسَ ذا سُمرَةٍ، ثم اتـخذَت الألواحُ ذاتُ الخشبِ الأبيض المستورد، ويكون اللوحُ عادةً على شكل مستطيلٍ، يناسِبُ حجمُه مستوى الطالب: ابتداءً، وتوسطاً، وانتهاءً.

يُنعَّمُ اللوحُ بكاغدٍ قبلَ الكتابةِ عليه، ثمَّ يُسطرُ إن لم تكن دِمْنةُ ما مضى باقية، ثُمَّ يُكتَبُ عليه.

والكتابةُ على اللوحِ -معَ ما تحملُ من عبَقِ الماضي- من أفضلِ وسائلِ تحسينِ الخطِّ، ومِن مزاياه كذلك المحافظةُ على النظر.

ويُعابُ على اتـخاذِ الألواحِ أداةً للكتابةِ أمورٌ: منها عدمُ المحافظةِ على المكتوب؛ كونه يُمحَى بعد الحفظِ والعرض، ومنها أيضاً الشُّغْلُ به، مِن محوٍ، وسطْرٍ، وانتظارِ جَفافٍ، كما أنَّ السلامةَ من التلطُّخِ بالطِين أو المِدادِ -وهما من لوازمِ اتـخاذِ اللوح- عزيزةٌ.

وهذه المعايبُ السابقةُ لا توجَدُ في الدفاتر والكراريس لمن اتـخذها، ولهذا صارتْ كثيرٌ من الكتاتيبِ إلى هذه الوسيلة، بل يُضافُ إلى محاسنِها اتحِّادُ النُّسخةِ التي يُعتَمَدُ عليها في الحفظِ والتعاهد؛ دعماً للقلبِ بالبصر، وبالدفاترِ يُمَكَّنُ الطالبُ من الاحتفاظِ بمصحفٍ مخطوطٍ بيده، ومن اصطحابِها إلى البيتِ فتسلمُ من العبثِ والتحريف، ويَقرأُ فيها عند الفراغ، بينما لا يتأتَّى ذلك في الألواح.

وحيثُ إنَّ اللوحَ والدفترَ وسيلتا إقراءٍ فردي، فقد استُحدِثَ للإقراء الجماعيِّ السبورةُ السوداءُ والطباشير، ثم السبورةُ البيضاء والخطاط، وكثيرا ما تُستعمل في

تعليمِ أحكام التجويد، وأصول الرواية، وغريب الرسم والضبط، وانتهى الأمرُ إلى استحداثِ المقارئِ الإلكترونية، حتى لا يبقى بيتٌ من مدر ولا وبرٍ إلا ولجَهُ المحفِّظون لكتابِ الله تعالى.

وكثيرٌ من أهلِ الكتاتيبِ يستدلون على أفضليةِ الدراسةِ على اللوح بقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾[1]، وظاهرٌ أنَّ المُرادَ باللوحِ هنا هو اللوحُ المحفوظُ لا ما بين أيديهم، وليس مَن فضَّل الدراسةَ على الدفاترِ والكراريسِ بأعجزَ منهم أن يتلو: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾[2].

ب- **القلم**: يُتخذُ قلمُ الكتاتيب من القصب المجوَّف، بتنحيفِ رأسِه بسكِّينٍ حادَّة، ثمَّ يُشقُّ رأسُه لِحَمْلِ ما أمكن من المِداد، وكيفيةُ ذلك كما قال ابن البوّاب:

والشَّقَّ وسِّطْهُ ليَبقى حِبرُه ... من جانبيه مُشاكِلَ التقديرِ[3]

وخلال العقدين الأخيرين دأَبَ التلاميذُ على استصلاحِ رؤوسِ أقلامِ الحبرِ السائل المعدنية، فاستعاضوا بها عن أقلام القصب، لمزايا كثيرةٍ رأوها فيها.

ويُستخدمُ ذاتُ القلمِ للكتابةِ، وللتصحيح، ولبيان الوقوف، والمتشابهات، ورُبَّما قُلِّبَت جوانبُه ليُرسَمَ بالأرقِّ منها الحركاتُ، وشيءٌ من علاماتِ الضبطِ.

وقد جرى عُرفُ الكتاتيبِ على لَعْقِ الطالبِ قلَمَهُ بعد الفراغ من الكتابة، يفعلُهُ بعضُهم تبرُّكاً بمِدادِه واستشفاءً؛ حيثُ باشرَ الحروفَ القرآنيةَ، وبعضُهم يفعلُ لأجلِ

(١) سورة البروج، (٢١ - ٢٢).

(٢) سورة الواقعة، (٧٧-٧٨).

(٣) شرح ابن الوحيد على رائية ابن البواب، (١٨٧).

ألاَّ تتلطَّخَ به الثيابُ والدفاترُ والبُسُطُ، وبعضُهم لحِفظِ ما لامسَ الحروفَ الكريمةَ، والأولُ لا أصلَ له شرعاً، والثاني محتمل إن لم يُؤْذِ، والأخيرُ هو المُعتبَرُ عند الأكثر، ثم هو معمولٌ به في كتاتيب المغاربةِ والأندلسيين، وقد أنشد بعضُهم[1]:

في لوحِـــه وبعـــد ذاك يلعَـــقُ فهـــو لحِفظِـــهِ الكِتـــابَ أليـــقُ

جـ- الدواة: وهي قِنِّينةُ المِدادِ الذي يُكتبُ به على اللوح، ويُطلَقُ عليه في عُرفِ الكتاتيب «دوَايَة»، وكلُّه أسودُ، أو إلى السوادِ أقرب، لا يُشاركُه في اللوحِ شيءٌ من الألوان، حتى مِدادُ التصحيحِ من الشيخِ، ولا يزال أهلُ الكتاتيبِ وكذلك كتَبَةُ المصاحفِ على الاقتصارِ على لونٍ واحدٍ من المِداد، وهو أمرٌ لمْ يُعهدْ في القرون الأولى، بل كان يُغَايَرُ بين الرسم والضبط بألوانٍ مختلفة، على رأسِها اللون الأحمر، وليتَ هذا الأمر يحْيَى في مصاحفِنا اليوم، نعم قد يتَعَذَّر هذا في الألواح للاشتغال به عما هو أهم، وقد يُعتذَرُ عن ذلك للأجداد بِقِلةِ ذاتِ اليد، لكنَّ إحياءَه في المصاحف، وفي كراريسِ الكتاتيبِ، أمرٌ حسَنٌ، وهو في الـمُتناوَل، على أنَّ بعضَ ربعاتِ المدينةِ كان كذلك، كربعةِ الشيخِ محمد زهير أبوراس، فإنها كُتبت بالسواد، ثم ضُبطت بألوانٍ مختلفةٍ كالأصفر والأخضر والأحمر[2].

ويُتـخذُ المدادُ من صوفِ الغنمِ الملَطَّخ بعَرَقِها، ويُسمَّى في اللهجة المحلية «الوْدَح»، أو «الكْعَلْ»، أو «العْبَسْ»، يُصَبُّ عليه ماءٌ، ويحُرَّقُ حتى يَسْودَّ سائلاً، ثم

(١) لم أقف على قائله.

(٢) وصفها لي بذلك حفيد الشيخ محمد زهير الذي لا زال يحتفظ بهذه الربعة، وحفيده: رافع السني أبو راس، وقد سلَّمني أجزاءً مصورةً من هذه الربعة، يظهر فيها أن لون الضبط غير لون الرسم، كان هذا بمسلاته، بتاريخ (١٢/ ٣/ ٢٠٢٣).

يوُضَعُ في المَحبرة، وهي: وعاء صغير، ويجُعلُ عليه صوفٌ أو إسفنجٌ؛ لئلا يحملَ القلَمُ حِبراً كثيراً عند غمسِه فيُفسدَ الكتابة، وكُلَّما غاضَ الحِبرُ زِيدَ في مائِه.

ولمن يستعملُ الكراريسَ والدفاترَ قلمُ الحبرِ السائلِ أو الجافِّ، أو قلمُ الرصاص، وللسبورةِ السوداءِ الطباشيرُ، وللبيضاءِ الخطاطُ.

ثانيا: أدواتُ المحو والتصحيح:

للمحوِ والتصحيحِ أدواتٌ وسُبُل، منها: «المحَّاية»، والمسح، والكشط، والضَّرب، «والتحويلة».

أ- «**المحَّاية**»: هي حوضٌ به ماءٌ وطينٌ، يُبتنَى غالباً جانبَ الكُتَّابِ أو أمامه، يُطلَى بما فيه وجهُ اللوحِ المحفوظُ المعروضُ؛ لئلا يكون لحبر الدواة أثرٌ بالغٌ في اللوح، ثمَّ يُعرَّضُ اللوحُ لوهج الشمسِ؛ ليجِفَّ مما أصابَه، وإن كان الجوُّ رطبا -كما في الشتاء- أوقدت لجفاف اللوح النارُ، هذا بالنسبة للكتاتيب التي تعتمدُ طريقةَ كتابةِ الجديدِ ثم تصحيحه بعد تلاوةِ القديمِ وعرضه ومحوه، وهي طريقةُ شيخِ مشايخِ مسلاته: الشيخ إبراهيم الزنيقري رحمه الله.

وأكثرُ الكتاتيب على تقديمِ كتابةِ الجديد وتصحيحه، ثم يُتلى القديمُ ويُمحَى، وبذلك لا يحتاج الطالبُ إلى شهودِ جفاف اللوح، بل يُمحَى اللوحُ، ثم يوضع على «دُكَّانة» الفصل -وهي: مستوىً مرتفعٌ من الأرضِ، توضعُ عليه الألواح؛ إكراماً لكتاب الله- وإلى غَدِ الطالبِ مندوحةٌ ليجفَّ اللوحُ، وإن لم يتعرض للدفء أو الهواء.

وبعضُ الطُلابِ يتبركون بشُربِ ماءِ «المحايةِ» من باب الرُّقْية؛ لأنَّه ماءُ قرآنٍ مكتوبٍ، وبذلك لا يختلف عن ماء القرآن المتلوِّ، فهو كلامُ الله حيثما توجَّه،

ولابنِ الحاجِّ المالكيِّ في هذا المقام كلامٌ وافٍ شافٍ لمن بغى الاستزادة[1]، وعن أنس ﷺ أنه لا بأس بلعقه، وهو أيضاً مرويٌّ عن إبراهيم النخعي ﷺ[2].

ب- **المسحُ والإزالةُ**: ويُفعَلُ لتصحيحِ الخطإ، فيُزالُ المِدادُ بالإصبع، أو بمِنديلٍ، أو نحو ذلك، وبعضُ الطلبةِ يجعلُ على إصبعهِ اللُّعابَ ليسهُل المحو، وهذا محذورٌ عظيم، فكلامُ الله مُنزَّهٌ عن مباشرتِه بما يُستقْذَرُ شرعاً أو طَبعاً، قال ابنُ الحاجِّ المالكيُّ فيما يجب على المُؤَدِّبِ مع الغلمان: «ويتعين عليه أن يمنع الصبيانَ مما اعتاده بعضُهم، مِن أنهم يمسحون الألواحَ أو بعضَها ببصاقهم، وذلك لا يجوز؛ لأن البُصاق مستقذَر، وفيه امتهان، والموضعُ موضعُ ترفيعٍ وتعظيمٍ وتبجيل، فيُجَلُّ عن ذلك ويُنزَّه»[3].

جـ- «**التنجير**» **أو الكشط**: وهو شِدَّةُ النزْعِ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝﴾[4]، وذلك بإزالةِ الكلمةِ الخطإ وشيءٍ من سطحِ اللوحِ أو الدفتر، وتُستعملُ لذلك أداةٌ حادَّةٌ كمُوسَى الحَلْقِ أو ما أشبه، وهذه الطريقةُ من المحوِ والتصحيحِ غيرُ محُبذةٍ؛ لأنها تضرُّ باللوح والدفتر.

د- «**الضَّرب**»: أيِ الإلغاء، وذلك بوضع خطٍّ فوق أو تحت الكلمةِ المرادُ إلغاؤها، ورُبما اعترضَ الخطُ الكلمةَ عرضاً، دلالةً على عدمِ الاعتدادِ بها، وقد جرت عادةُ بعضِ المشايخِ إذا كان الخطأُ بزيادة اسمِ الجلالة (الله) أن لا يُعْمِلُوا فيها الضربَ ولا الكشطَ، وإنما يُكتفى برسم دائرة تُحيطُ بالكلمة، مبالغةً في توقير اسم المولى سبحانه.

---

(١) يُنظر: المدخل، لابن الحاج، (٢ / ٣١٨).

(٢) يُنظر: آداب المعلمين، لابن سحنون، (٨٧ – ٨٨).

(٣) المدخل، لابن الحاج، (٢ / ٣١٨).

(٤) سورة التكوير، (١١).

هـ- «**التحويلةُ**»: وهي خَطٌّ له رأسُ سَهمٍ، يُشيرُ إلى مَوضِعِ تدارُكِ السَّقْطِ بإحدى حواشي اللوح، أو فوق السطر أو تحته.

وبالنسبةِ لمن يَعتمِدُ الدفاترَ والكراريسَ، فأدواتُ المحوِ: المِمْحاةُ لقلم الرصاص، ولقلم الحبر الطامس: مادةٌ بيضاءُ كالجير، تُسمى بلغة صانعيها «كوريكتشن بِن» أي: مُصَحِّحُ قلمِ الحبر، وأما السبورةُ فتُمحَى بـ«الطَّلَّاسَة»، والطَّلَّاسةُ: «خِرقةٌ يُمسَحُ بها اللوحُ»(١).

ثالثا: أدوات التَّعَاهُد:

يُطلَقُ على التعاهُدِ في عُرفِ الكتاتيبِ «المُراجعة»، والأصلُ أن يكونَ تعاهُدُ المحفوظِ غَيباً، يُـجْلَسُ لذلكَ أو يُدَارُ مَشْيًا عكسَ عقاربِ الساعة، وأهلُ الكتاتيبِ يتعسَّفُونَ في حَقِّ مُتعاهِدِ القرآنِ من المصحَف، ويرْوُون في ذلك: «لا تأخذ العلمَ عن صُحُفي، ولا القرآنَ عن مُصحفي»؛ عيباً للطريقةِ، وطعْناً في الحِفظ، وهو خلافُ ما وردَ عن السلفِ في فضلِ النظر إلى المصحف والقراءةِ فيه(٢)، وإنما العيبُ في أن يستقلَّ التلميذُ بالمصحف، فلا يُشافه المشايخَ، ولا يتلقَّى القراءةَ عنهم، وعلى هذا يُحملُ ذمُّ السلفِ للمُصحفيين.

ويرى أهلُ الكتاتيبِ للمتعاهِد من حفظِه إذا اعتراه شَكٌّ أو أُرْتِجَ عليه - أنْ يسألَ شيخَه، أو زميلَه؛ فذلك أدْعَى لاستدامةِ تذكُّرِ ما فُتِح به عليه، وفي ذلك أنشدوا:

خوذها من دابْ ***ولا تاخذها من كتابْ

والأدبُ عند إرادةِ الفتح أن يُتْلَى أولُ الآيةِ، ولا يُقال للمفتِوح عليه: كيف كذا وكذا؟

---

(١) البحرُ المحيط، للفيروزآبادي، مادة: طلس (١٠١١).

(٢) يُنظر: الآداب الشرعية، لابن مفلح، (٢ / ٢٨٤).

الربعات المسلاتية المخطوطة والمسموعة:

ولـمَّا كانتِ المصاحفُ عزيزةً في بلدنا حتى منتصَفِ القرنِ الماضي؛ كتَبَ جمعٌ من المشايخِ مصاحفَ بأيديهم، وسجَّلَ آخرونَ ختماتٍ مُرتَّلةً، كانت لهم ولغيرِهم أداةَ تعاهُدٍ وتقويم(١)، فمن ذلك:

١- مصحفُ الشيخ الفقيه بن علي الأربد، ومصحفُ الشيخ نصير سالم نصير، ومصحفُ الشيخ محمد بن محمد العربي، وثلاثتُها قد اعتُمِد عليه في كتابةِ مصحف الجماهيرية، خاصةً فيما يتعلق بالوقف، والضبط، ومصحفُ الشيخ نصير وضع وقوفَه الشيخ سليمان الرويص، وأما مصحفُ الشيخ العربي؛ فذكر حفيدُه الشيخ عبد اللطيف العربي: أنَّ به حاشيةً تتضمَّنُ قواعدَ للتجويد، والضبط، ورسوماً لبعض مخارج الحروف(٢).

٢- مصحفُ الشيخ مفتاح العربي اللواتي، وقد عبث به الإيطاليون، ولم يبق منه إلا جزء واحد، ومصحفُ الشيخ امحمد عبد العالي اللواتي، وهو محفوظ بزاوية الهمالي، وثلاثةُ أجزاءٍ من مصحف الشيخ عبد السلام القاضي، وهي موجودة بمكتبة الشيخ سالم التومي، وأربعةُ مصاحفَ للشيخ محمد زهير أبو راس(٣).

---

(١) بذلتُ وسعي في الحصول على هذه المصاحف، لكن عامةَ أصحابها يرفضون تسليمها؛ لتجاربَ لهم سابقةٍ مع بعض البُحَّاثِ الذين لم يحفظوا الأمانة، ولم يُراعوا آداب الاستعارة، فكانوا سبباً في كتْمِ العلمِ في بطونِ كُتُبٍ ومخطوطات كثيرة، حيثُ خشي أصحابُها ألا تعود إليهم آثارُ آبائهم وأجدادهم، فبئستِ السُّنةُ جحْدُ المتاع في المجال العلمي، وبئستِ العاقبة.

(٢) يُنظر: مسلاته في العهد العثماني الثاني، لغيث العربي (١٥٢)

(٣) المصدر السابق، لغيث (١٦٢ - ٢١١)، مناقب علماء مسلاته، لنصر العربي، (٨٠ - ١٢٣).

٣- كانت لبعض مشايخ المدينةِ محاولاتُ تسجيلٍ صوتيٍ لربعاتٍ بروايةِ الإمام قالون، منهم الشيخ صالح المهدي قلاص، والشيخ أحمد سليم عثمان[١]، وختمةٌ للشيخ محمد حسن مسعود.

ومما بلغتهُ يدي من هذه الربعات، ربعة الشيخ محمد زهير أبو راس المسلاتي، وهي ربعةٌ كُتِبت قبل نحو قرنٍ من الزمان، وقد وُجِدَت في طُرَرِ المطالعةِ على هذه الربعةِ تواريخُ تعودُ إلى منتصف القرن الهجري الماضي، وهذه صور لبعض صفحات الربعة، وبعضِ الطُّرَرِ عليها:

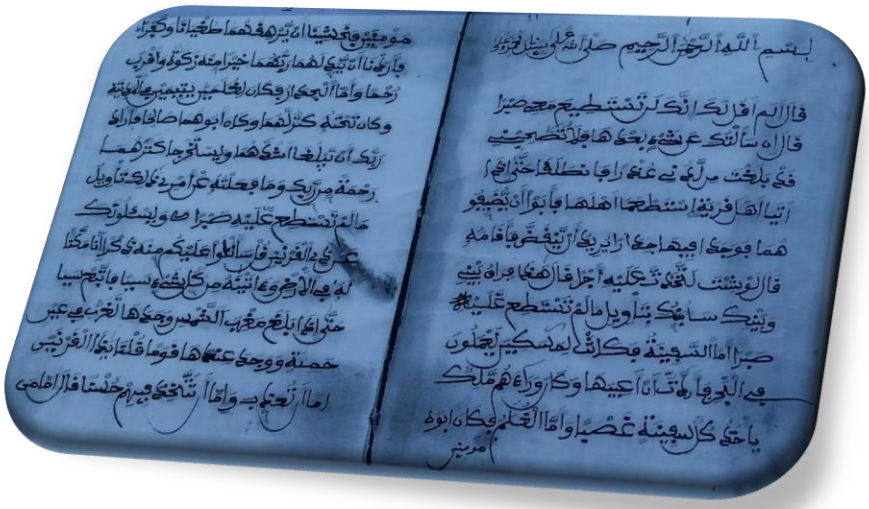

(١) يُنظر: مناقب علماء مسلاته، لنصر الدين العربي، (١٩٩ - ٢١٣).

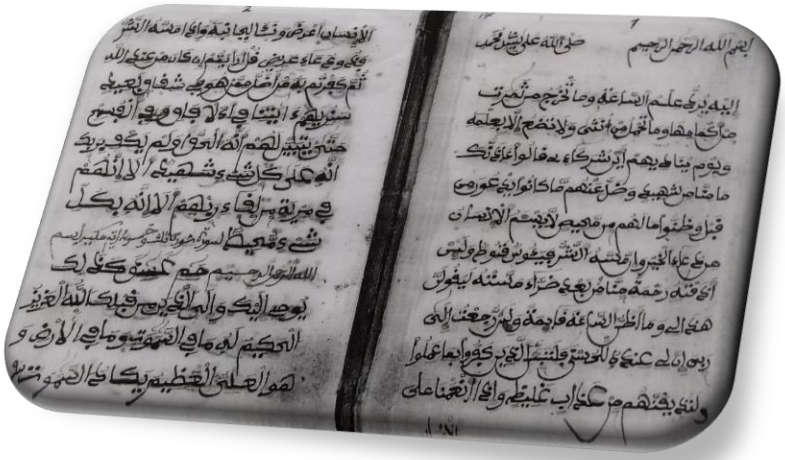

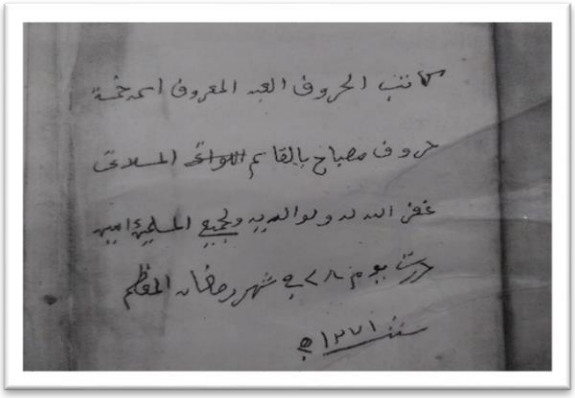

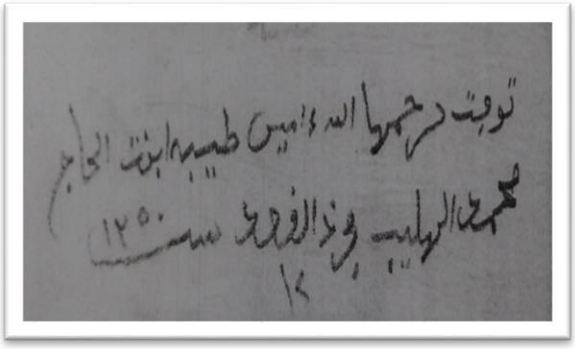

هذه الطررُ تتحدث عن حوادث وقعت سنة (١٢٧١) وسنة (١٢٥٠) للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وقديماً كانت تُسمَّى المصاحفُ - مخطُوطُها ومطبوعُها، مقروؤُها ومسموعُها- رَبعاتٍ، جمعُ رَبعةٍ، وبذلك سُميَت في بعض كتب التفسير وعلوم القرآن[1]، وتُسمَّى اليومَ مصاحفَ، وبَقِيَ من الاستعمال القديمِ ما تجزَّأَ من المصاحفِ على أربعٍ، أو خمسةَ عشَرَ، أو أكثر، فإنَّهُ يُسمَّى اليومَ رَبعةً، وهو أخفُّ حِـمْلاً على الـمُقتصِر، وأكثرُ مشاركةً بين الطُّلابِ، حتى إنَّ مَن يمتهنُ القراءةَ على الموتى مِن المشايخِ ليقتني ربعةً يُفرِّقُها بين تلامذته؛ فيتحصَّلُ من ذلك ختمةٌ للقرآنِ كاملةٌ في نصفِ ساعة، تـختتَمُ بدعاءٍ يُهْدَى فيه ثوابُها إلى الميتِ، ثُمَّ يُحَلَّى بين هؤلاءِ القُراءِ وما وُعِدُوا مِن دراهمَ وأطعمةٍ.

المصاحف الليبية المطبوعة:

وبعدَ هذا الجَدْبِ، طُبع في ليبيا أولُ مُصحفٍ سنةَ (١٩٧٥م)، هو المصحف المسمَّى بـ«مصحف أمانة التعليم»، وهو موافقٌ لروايةِ قالونَ عن نافعٍ المدنيِّ ورسمِ أبي داود سليمان بن نجاح، وظلَّ اصطلاحُ هذا المصحفِ مُتداوَلاً إلى يوم الناسِ هذا، خاصةً في كتاتيبِ مصراته، والزنتان، وبعض كتاتيبِ طرابلسَ، وأما كتاتيبُ مسلاته؛ فشُوِّشَ عليها باصطلاحه، حيثُ عُمِلَ به في بعض الأبوابِ، فحُذِفَت -مثلاً- بعضُ الألفاتِ التي هي مُثبَتةٌ في رسمِ الإمامِ الدانيِّ الذي تعتمدُه المدينة.

ثمَّ طُبع بعده بزمنٍ يسيرٍ مصحفُ الشيخ صالح دخيل، كان هذا سنة (١٩٨٢م)، ولم يلق هذا المصحف رواجاً كسابقه ولاحقه.

(١) يُنظر: البرهان، للزركشي، (١ / ١٧٧).

وفي سنة (١٩٨٢م) أيضا شرعت لجنةٌ مختصَّةٌ في طباعةِ مصحف الجماهيرية، على ما يُوافقُ روايةَ الإمامِ قالونَ ورسمَ الإمام الداني، فكان عُمدةَ أهلِ القراءةِ ما يربو عن ثلاثةِ عقود، وقد أُخِذَ على هذا المُصحفِ شيءٌ من اختياراتِه الرسميِّة والضبطِيِّة، وشيءٌ من الخَللِ الخطِّي، وشيءٌ من التوجُّهِ السياسيِّ، ومع ذلك، فقد نظِرَ إليه بعينِ القداسةِ في جميح اصطلاحاته: من الرواية، إلى الرسم، إلى الضبط، إلى، الفقه، إلى الأجزاء، وحتى ما نُصَّ عليه في ملاحق المصحف بأنه اصطلاحٌ ليبيٌّ –وهو المخصص– صارَ مُقدَّساً بالنسبة إلى أهل الكتاتيب وغيرهم، بل قُدِّسَ فيه ما كان رميةً بغيرِ رامٍ، كضبطِ الصاد بغير نبرةٍ قبل المخصص في: {الصاعقة} بالبقرة، و{تصاحبني} بالكهف، وضبطِها بالنبرة مع ذات الحذف المخصص في: {فصاله}، و{تصاعر}، بلقمان، فإنه لا سبب يُذكَرُ لذلك، لا من الرواية ولا من الدراية، بل لقد سألتُ الشيخ مبروك العماري رحمه الله وهو من لجنة كتابة مصحف الجماهيرية – عن سبب ذلك فقال: «أنا لا أعلم أنه ضُبطَ بذلك أصلا، قديش ما تفتّشوا!!»[1]، لذلك كان تقديسُ ما هو عملٌ بشريٌّ في المصحف –كالتجزئة والضبط– قد لا يُلامُ عليه عامةُ أهل القراءة، لكونه صادراً عن الغيرة على كتاب الله، وقد جهِلوا ما هو من مكوِّناتِ المصحف التوقيفية وما هو من العلوم المصاحبة لذلك، لكنه –أي التقديس– في حقِّ المختصين أمرٌ معيب.

وفي الفترة الممتدة بين كتابة مصحف الجماهيرية وكتابة مصحف الأوقاف الليبية – صدرت عدة مصاحف ليبية، كمصحف ليبيا، ومصحف الدار المثالية.

(١) مجلس مع الشيخ مبروك العماري رحمه الله عقب تلاوة حزب القرآن، بمسجد المجابرة القديم، سنة (٢٠٠٤).

ثم توجت هذه المسيرةُ الطيبةُ في كتابة المصاحف بكتابة مصحف الأوقاف الليبية، فجمع محاسنَها جميعِها، واعتمد من المعايير أعلاها: روايةً، ورسماً، وضبطاً، وخطّاً، ووقفاً، وفقهاً، وعقداً، وقد فُرِغَ من طباعة هذا المصحفِ مطلع العام الهجري (١٤٤٤)، الموافق لأواخر العام الميلادي (٢٠٢٢)، وكانت شرعتْ في إعدادِه لجنةُ الخُبراءِ قبلَ بِضْعِ سنوات، ليكونَ مَفزَعَ أهلِ التلاوةِ والقراءة، ويسدَّ حاجةَ المساجِدِ، والكتاتيبِ، والمكتبات.

رابعا: أدواتُ التأديب والتربية:

غلبَ على أهلِ القرنِ الماضي الأسلوبُ الترهيبِيُّ في سِلْكِ التعليمِ والتربية، ولمْ يكن الترغيبُ حاضراً إلا من خِلالِ ما يُبصِرُه التلميذُ من حُسن المُنقَلَبِ الدُّنيويِّ، كأربعاءِ الشيخِ، والوظيفةِ، والمكانةِ الاجتماعية، ثمَّ صِيرَ إلى الترغيبِ المصاحب للترهيبِ بعدةِ وسائل، ولا زال أسلوبُ الترهيبِ يَضعُفُ عقداً بعدَ عقدٍ -لأسبابٍ خاصةٍ تتعلَّقُ بالقوامة، وعامةٍ تتعلقُ بالانفتاح على المؤسسات والمعاهدات الدولية- حتى تلاشى هذا الأسلُوبُ وجُرِّمَ بقراراتٍ رسميةٍ[1]، ولمْ يبقَ على هذا الأسلوبِ إلا قِلَّةٌ تعتمدُ على إذْنِ الوليِّ القوَّامِ، أو الآصرةِ الأُسَريةِ أو القبلية، أو كان ضرباً هو إلى الرَّبْتِ أَقْربُ، ثُمَّ استُعِيضَ عن هذا كلِّه بالترغيبِ المبالَغِ فيه: هدايا، وولائم، وجوائزُ قيِّمة، ونزهات، وشهادات تقدير، وأسفار، ووظائف موعودة.

وقد كان للأسلوب الترغيبيِّ أَثَرُهُ البالغُ في الكَيف، أي: جودةُ الحفظِ والأداء، بينما كان للأسلوبِ الترهيبيِّ أثرُهُ في الكَمِّ، أي: كثْرةُ الحفَظة.

(١) ومنه قرار وزير التعليم رقم ١٧٣٦ لسنة ٢٠١٧.

وتختلفُ أساليبُ التأديبِ بحسبِ درجةِ خطإِ التلميذِ وملابساته، وتربويةِ المُعلِّمِ وعطَنِه، وهي على الترتيب: التعريضُ بالنُّصحِ، ثم مُباشرتُه سِراً، ثم إعلاناً، ثم التوبيخ، ثم الإشاحةُ بالوجه، ثم الهجر، ثم إطالة المكث بالكُتَّاب، ثم الضَّرب، ثم الإيقاف مع الحضور، ثم الطرد، وإذا طُرِدَ الطالبُ من كُتَّابٍ؛ لم يُقبلْ في كُتَّابٍ آخرَ بذاتِ المركز أو الزاوية، على هذا أكثرُ كتاتيبِ المدينة، ورُبما طُرد التلميذُ لأنه ملأَ فراغه بالدراسةِ عند شيخٍ آخرَ، سواء استأنفَ عليه حفظاً، أو تعاهدَ محفوظاً، أو تلقى أصولا، وتجويداً، ووقفاً، وطردُ التلميذ لذلك ظلمٌ له، بل الغضبُ من ذلك مذمومٌ كما جاء في بعض الآثار، وقد كان الصحابةُ والتابعون وتابعوهم يقرؤون على جمعٍ من القُراء تزامُناً ولا يسوءهم ذلك، وقليلٌ من المعلمين اليوم مَن يستبقِي فاعلَ ذلك من تلامذته على مضض، وأقلُّ مِن أولئك مَن يأذنُ بذلك، وأقلُّ منهم مَن ينصح به.

وفي كلِّ ما سبق، تبقى للشيخِ تقديرُ العقوبة المناسبة الرادعة، فإنه يصلُحُ لتلميذٍ ما لا يصلح لغيره، وقد أوصى الإمامُ سحنونُ معلمَ ولدِه بقوله: «لا تُؤدِّبْه إلا بالمدح ولطف الكلام، ليس هو ممن يُؤدَّبُ بالضرب والتعنيف»(١).

ثم أداةُ الشيخِ للعقوبةِ العصا والفلقة، فأما العصا فتُتخذُ من أغصانِ الزيتون أو الرُّمان، وهما من أشجار مدينة مسلاته، بخلاف النخلِ والسَّرْوِ، وأما الفلقة – وهي عصا غليظةٌ طويلةٌ بها حبلٌ ناتئٌ من ثُقبين فيها معقودٌ من طرفيه – فتُثبَّتُ بها الأرجلُ عند العقوبة، وابنُ الحاجِّ المالكيُّ يذمُّ الفلقةَ وأضراباً من العِصِيِّ، كأغصانِ اللوزِ، وجريدِ النخل(٢).

(١) آداب المعلمين، لابن سحنون، (٥١).

(٢) يُنظر: المدخل، لابن الحاج، (٢ / ٣١٧).

وكان يُعتَذَرُ للشيخِ في الضَّربِ ولو كان مُبْرِحاً بقولهم: «لمْ يأمرْهُ برعيِ غنمِه، ولا حصْدِ زرعه، ولا جَنْيِ زيتونِه» وهي حِرَفُ المدينةِ الفاشيةُ، ونحو هذا قول الشاعر:

لا تأسفنَّ على الصبيانِ إن ضُرِبوا فالضربُ يَبرا ويبقى العلمُ والأدبُ

ويُضربُ التلميذُ على راحةِ يدِه، أو باطنِ القَدَمِ أو الفخِذ، وبعضُ المشايخِ يصفعُ الوجهَ ويكسرُ العظم، وهو محرَّم، وليس للأسواطِ في عُرفِ الكتاتيبِ عددٌ مُعين، بل له اعتباراتُه وملابساته، ورُبما نافَ على مائةِ سوط، ولمْ يرَ ابنُ الحاجِّ المالكيُّ أنْ يُزادَ على عشرةِ أسواط[1]، وقال محمد بن سحنون: «ويؤدبهم على اللعب والبطالة، ولا يجاوز بالأدب عشراً، وأما على القرآن فلا يجاوز أدبه ثلاثاً... وقد قال بعض أهل العلم: إن الأدب على قدر الذنب، وربما جاوز الأدبُ الحدَّ»[2].

وأسبابُ استحقاقِ العقوبةِ كثيرة، كالتغيُّبِ، والهرب، وسوء الحفظ، والشغَب، وسوء الأدبِ مع الشيخ أو الزميل، والإخلالِ بنظامِ الكُتَّابِ، كالإخلالِ بهيئةِ الجلوسِ المعتبرةِ، أو بالزِّيِّ اللائقِ، أو بالتجمهُرِ على محلِّ قضاء الحاجةِ[3]، ونحو ذلك.

ومما ينبغي للشيخ تجنبه -مما هو شائع في الكتاتيب- الاستهزاءُ بالتلميذ، أو نبزُه بلقب، أو وصفُه بنحوِ الحمار، أو سبُّه وشتمُه، خاصةً بما يتعلق بأدائه القرآني،

(١) المصدر السابق، (٢ / ٣١٧).

(٢) آداب المعلمين، لابن سحنون، (٨٩ - ٩٤).

(٣) كان ذلك يُضبَطُ بوضعِ الشيخِ خشبةً صغيرةً جانبَه، يأخذُها معهُ مَن خرج إلى مكان قضاء الحاجة، ثم إذا رجع منه وضعها مكانها بجانب الشيخ، فبوجودها يُعلَم أن للطالبِ حقّاً في الاستئذان للخروج، وإلا فلا. يُنظَر: مقال مسلاته ومسيرة تحفيظ القرآن، للدوكالي نصر، ص (٣٢).

كقول مَن لا خلاقَ له لطالبٍ أساء الحفظَ، أو القراءة، أو الأدب: «الخزي عليك وعلى قراءتك»، وهو شائعٌ ذائعٌ قبيح، قال ابن مفلح: «أفتى ابنُ أبي زيد فيمن قال لصبي: لعن الله معلمَك وما علَّمك، وقال: أردتُ سوء الأدب ولم أرِدِ القرآن – قال: يؤدبُ القائل، قال: وأما من لعن المصحف فإنه يُقتل»(١)، ومثلُه أيضاً –وهو كثيرٌ– مَن يُقسمُ للطالب إذا أذهبَ جُلَّ الأحكامِ التجويدية: «والله هذا ما هو قرآن»!! كيف ذلك وقد سماه النبي ﷺ قرآناً كما في حديث الماهر بالقرآن والـمُتَتَعتع فيه، وعن جابرٍ رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن، وفينا الأعرابي، والأعجمي، فقال: «**اقرؤوا، فكلٌّ حَسَنٌ**»(٢).

وعادةُ المعلمين قبولُ قولِ التلاميذ بعضهم في بعض، فيؤدبون بناء على ذلك، فهل هو من الحكم الذي يتوقف على شهادة العدول؟ سُئلَ سحنون عن ذلك فقال: «ما أرى هذا من ناحية الحكم، وإنما على المؤدب أن يؤدبهم إذا آذى بعضهم بعضا، وذلك عندي إذا استفاض علم الأذى من الجماعة منهم، أو كان الاعتراف، إلا أن يكونوا صبيانا قد عرفهم بالصدق، فيُقبل قولهم، ويعاقب على ذلك»(٣).

(١) الآداب الشرعية، لابن مفلح، (٢ / ٢٧٦).

(٢) المسند، لأحمد بن حنبل، (٣ / ٣٥٧).

(٣) آداب المعلمين، لابن سحنون، (١١٧).

المبحث الثاني
اصطلاحُ الوسائلِ التعليمية

اعتمدتِ الكتاتيبُ المسلاتيةُ في تدريس حروف القرآن الكريم الطريقةَ الفردية؛ لأنها تُراعي الفروقَ الفرديةَ بين التلاميذ عُمراً وتحصيلا، كذلك لا تُنافي هذه الطريقةُ إمكانية انضمام طلاب جدد إلى حلقة الإقراء، ولا إمكانيةَ استفادةِ المبتدئ ممن برز من زملائه وتقدم، وكذلك تُراعِي الطريقةُ الفرديةُ الظروفَ الخاصة بكلِّ تلميذٍ، كالتأخُّر في المجيء، أو الغياب... وفي المقابل اعتمدت الكتاتيبُ لتلقي علومِ القرآن -كالتجويد- الطريقة الجماعية؛ توفيرا للجهد والوقت، وإشراكاً للتلاميذ في التطبيق والمدارسة، ونحو ذلك من محاسنِ الاجتماع[1].

وللعمليةِ التعليميةِ وسائلُها المتعلقةُ بالتلقِّي، وبالاستظهار، وبالضبط والإتقانِ، ولكلٍّ منها اصطلاحاتٌ تُستعرضُ في هذا المبحث.

(١) يُنظر: المدارس والكتاتيب القرآنية، مؤسسة المنتدى الإسلامي، (٢٣ - ٢٧).

المطلب الأول: وسائلُ التلقِّي عن الأشياخ

تـختلفُ وسائلُ التلقِّي عنِ الشيخِ باختلافِ حال المتلقِّي والمتلقَّى عنه، وهي باعتبار الأخير ثلاثة: «الرشيمة»، والتلقين، والإملاء، وأما استكتابُ التلميذِ من المصحفِ في بيته أو كُتّابِه؛ فلا يُعرَفُ إلا في هذه الأزمنة المتأخرة.

أولا: «**الرشيمة**»: وهي اقتفاءُ قلمِ التلميذِ أثرَ قلمِ الشيخِ، كشْفاً أو حكايةً، قال الفيروزآبادي: «رَشَمَ: كتب... والرشَمُ مُحرَّكة: سوادٌ في وجه الضبع... وأثرُ المطرِ في الأرضِ، والأثر»(١).

وتُعتَمدُ هذه الطريقةُ للمبتدئين وصغارِ السنِّ، وبها يُتلقَّى الحرفُ، والخطُّ، والرسمُ، والضبطُ، ويُرجَأُ التجويدُ، والوقفُ، والمتشابهُ، لاشتدادِ العُودِ، والاستغناءِ عن قلَمِ الشيخ.

وللرشيمةِ طريقتان: الأولى: أن يكتب الشيخُ على اللوحِ شيئاً من القُرآنِ بقلمِ الرصاصِ أو أخمصِ قلَمِ القصبِ، أو يجعل الشيخُ بحبر قلمه نقاطاً إذا وُصِلت صارت كلماتٍ ... ثم يتَتَبَّعُ التلميذُ ذلك بحبرِ قلمِه، كاشِفاً ما خَفِيَ من مكتوبِ الشيخِ، حتى كأنَّ لبيدَ بنَ ربيعةَ العامريَّ ﷺ قصدَها بقوله:

وجـلا السـيولُ عـن الطلـولِ كأنَّهَـا ... زُبُـــرٌ تجُـــدُّ متونَهَـــا أقلامُهـــا

أو رجْــعُ واشــمةٍ أُسِــفَّ نؤُورُهــا ... كِفَفــاً تعــرَّضَ فــوقهُنَّ وِشَــامُها(٢)

والطريقةُ الأخرى: أن يكتُبَ الشيخُ بحبر قلمه سطراً أو أكثر، فيُحاكيه التلميذُ بأسطر تحته، يحُدد له الشيخُ عددَها، والمسافةَ بينها، بنقاطٍ في أول السطر.

---

(١) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مادة رشم (٦٤٢).

(٢) المعلقات العشر، للشنقيطي، (٩٧).

وأولُ شيءٍ يتلقاه طلابُ الرشيمةِ الحروفُ، والترتيبُ المعتمدُ فيها هو الترتيبُ الهجائيُّ المشرقيُّ: «أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و ي»[1]، لا الترتيب الأبجدي، ولا الصوتي.

يُعلَّمُ الطالبُ أصواتَ الحروفِ ورسمَها مستلقةً عن حركاتها، ثم يُثنَّى له بالحركات، يُبدَأُ بالفتح، ثم الكسر، ثم الضم، ثم السكون، ثم يُعلَّمُ التنوينَ، والشدَّ، ثم أشكال الحروف مُقطَّعةً ومركبَّة.

فإذا انتهى الطالبُ من هذا كلِّه؛ شرع في حفظِ القرآن الكريم، فيُبدأ له بالفاتحة، ثم يُنكَّسُ له في بقية السور، فيُعطَى سورة الناس، ثم الفلق، ثم الإخلاص، وهكذا؛ لأنها سورٌ مقروءٌ بها في الصلاة، فالحاجة إلى حفظها ملحّة، كذلك هي سهلةُ الحفظ لكثرةِ ما طرقت سمْعَ الطفل، وأيضا آيُها قصيرٌ لا يحتاجُ إلى طولِ نفسٍ ليُبلَغَ موضعُ الوقفِ الجائز، وأمرٌ آخرُ معنوي، هو قصرُ السورِ الذي يحُرزُ به التلميذُ تقدُّماً ملحوظا في العدد.

وليس في هذا التنكيس محذورٌ ولا كراهية، إذ هو من باب التدرج، وقد قال عمر بن الخطاب لابنيه عَبد الله وعُبَيد الله ﷺ: «عليكما بالـمُفَصَّل؛ فإنه أحفظ»[2].

وفي الغالب لا يجُاوِزُ المعلِّمُ بطُلابِ الرشيمةِ سورة البينة، لتُملَى عليه سورةُ القدرِ حرفاً حرفاً، وسيأتي أن سورة البينة هي أول مواضع الحذقة.

---

(١) وكتاتيب بعض المدن الليبية – كزاوية الرجبان – تعتمد الترتيب الهجائي المغربي: «أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و لا ي ء». يُنظر زاوية الرجبان وطريقتها في تحفيظ القرآن الكريم، لمدرسي الزاوية (٤٥١)، وهو استعمال القاضي عياض، وابن عبد البر، والباجي، في كتبهم.

(٢) المصنف، لابن أبي شيبة، برقم (٣٠٠٨٧).

ثانيا: التلقين: والمقصود به هنا أن يُردِّدَ التلميذُ قِراءةَ شيخِه حتى يستظهر ما لُقِّنَه، قال الفيروزآبادي: «التلقينُ كالتفهيم»(١)، وفي المعجم الوسيط: «لقَّنه الكلام: ألقاه إليه ليُعيده»(٢).

وللتلقينِ يتربَّعُ التلميذُ أو يجثو أمامَ شيخه، ويُتحلَّقُ له إن كان الملقَّنُ جماعةً، وإنما تُعقَدُ مجالسُه لمن قام به عُذْرٌ أقصرَ يدَه عن الخطِّ، كالأعمى، والأشلِّ، والأُميِّ، وكالهَرِمِ؛ قناعةً بالمحفوظ، وكصغارِ الطلبةِ إذا عُلِّمُوا الهجاء وما أشبه، وقد يحتاجُه المنتهون في تصحيح التلاوات.

ثم التلاميذُ في المقدار الـمُلقَّن على ما يراه الشيخ، معتبراً في ذلك السطور والصفحات، لا الآي، وإن كان هو الأولى بالاعتبار؛ لورود الآثارِ بذلك، وقد قال الإمام الداني ﵀ في ذلك القدر: «فأما من رغب التلقين من الأستاذ؛ فليُلقنْه على مقدار لُبِّه ويقظته، فإن رأى أنه يقوم بخمسٍ لقّنه إياه، وإن رأى أنه يحتمل فوق ذلك فليلقنه ما يحتمل إلى أن يبلغ به العشر، فإذا بلغ به العَشرَ فلا يزده شيئا، لأن ذلك نهاية في التلقين، ولمْ يُرْوَ لنا أن النبي ﷺ لقَّن أصحابه فوق ذلك»(٣).

ويُعَدُّ التلقينُ أعرقَ وسائلِ التلقِّي عن الشيوخ وأعلاها، وبه تلقَّى النبي ﷺ القرآنَ عن جبريلَ ﵇، قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ١٦ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ١٧ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ١٨﴾(٤)، «وكان

(١) القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مادة لقن، (١٤٨٣).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة، مادة لقن، (٨٣٥).

(٣) شرح القصيدة الخاقانية، للداني، (٦٨).

(٤) سورة القيامة، (١٦ – ١٨).

جبريلُ يلقاه ﷺ في كل ليلةٍ من شهر رمضان فيُدارسُه القرآن»[1].

ثالثا: الإملاء: وتُلفظُ في عُرفِ الكتاتيبِ «الـمَلَّا» أو «الـمَلَّهْ»، كأنها خُففت بحذف همزتيها، والإملاء: تحويلُ ملفوظِ الشيخ إلى مكتوبٍ في أحد وجهي اللوح، وهي من أفضلِ وسائلِ التلقّي، خاصةً في الأزمنةِ التي يندر فيها وجودُ المصاحف، ثم هي وسيلةُ تلقّي الصحابة، قال زيدُ بنُ ثابتٍ رضي الله عنه: «كنا عند رسول الله ﷺ نؤلِّفُ القرآن من الرقاع»[2].

وللإملاء يتحلَّقُ الطُلاب حول شيخهم، فيستملي واحدُهم الشيخَ من حيثُ توقَّفَ في وجهِ لوحِه الآخَر، فيُملي الشيخُ قدْراً من القرآنِ يُناسِبُ المستملِي، ثم يُردِّدُ الطالبُ ما أُمْلِيَ؛ اطمئناناً على صحةِ السماع، فيكتبُه كما سمِعه، وهكذا يفعل كلما بلغه الدور.

وفي حلقة الإملاءِ يتلقَّى الطالبُ الحرفَ، والرسمَ، والضبطَ، ويُمتحَنُ فيما يمُرُّ به من مُتشابِه اللفظِ والرسمِ والضبط، ويُرجَأُ الوقفُ والتجويدُ للتصحيح والعرض.

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن، رقم (٣٢٢٠).

(٢) الجامع، للترمذي، كتاب المناقب، (٣٩٥٤).

المطلب الثاني: وسائلُ الاستظهار وإتقانه

لاستظهارِ الـمُملَى وإتقان حفظه ونُطقه وتجويده وسائلُ كثيرةٌ تعتمدُها الكتاتيبُ المسلاتية، منها: الكتابةُ على وجهي اللوح، واتـخاذُ «الـمَبْدا»، وتصحيحُ جديد اللوح، وعَرضُ قديمه، وتعاهُدُ المحفوظِ بطرائقَ مختلفة، والامتحان والمنافسة.

أولا: الكتابةُ على وجهي اللوحِ والتلاوةُ فيه:

لِلَّوحِ وجهان، يُسمَّى ما كُتِبَ فيه أولاً «قدِيمْ الطالب»، وما كُتب آخِراً «جَديدَه»، والتلميذُ إذا فرَغ من كتابةِ جديدِه جلس يُصلِحُه ما أمكن، ثم يَفرَغُ لتلاوةِ قديمِه، ولا يتلو جديدَه قبل أن يُصحِّحَه على شيخه؛ مخافةَ بُرءِ لسانهِ على لحْنٍ في الحرفِ أو الضبط، فإذا صححَ على شيخِه جديدَه استُحِبَّ له أن يتلُوَه أشواطاً؛ ليرسخَ ما لُقِّنَه مما يعسُرُ، كالإشمام، والاختلاس، والتسهيل، وما زيد في هجائه أو نقص، حتى إذا أنضجَه «طيّبه» رجعَ على قديمه بالتلاوة؛ تأهُّباً لعرضِه على الشيخ، ثم محوِه إن صادف حِفظاً وإتقانا، وبهذا لا يخلو لوحُ الطالبِ من مكتوبٍ مُصحَّحٍ.

وتُسمَّى التلاوةُ المتكررةُ للوح تشويطا، وعادةً ما تكون هذه الأشواطُ بين الخمسين والسبعين، وقد يُبلَغُ بها ثمانين، وكلمَّا أنهى التلميذُ شوطاً خطَّ في أسفلِ لوحِه خطًّا بقلمه؛ عَدّاً للأشواط[1]، ويُذَكِّرُ الشيخُ تلميذَه بأنَّ استدامةَ الحفظِ وقوةَ الاستحضارِ ثمرةُ تشويطِ اللوحِ أولَ الحفظِ[2]، وبعضُ المشايخِ يعتمدُ لتلاميذه ما

(١) وفي بعض المدن الليبية يتـخذ التلميذُ سُبحةً يُشوِّطُ لوحه بعدد عقيقها المحدد، ولا يُقبِل على شيخه للعرض حتى يستوفيَها.

(٢) يُقالُ في كتاتيب مدينة بني وليد: «اللي ما يحفظ لوحه أخضر *** يمشي يرعاله البقر»؛ كناية عن سوء حفظه.

يُسمَّى بـ«تعشاية اللوح»: وهي تلاوةُ التلميذِ جَديدَه ليلاً عدةَ أشواطٍ، ليسهُلَ حفظُها من غَدِه، فهو بمثابة تحضير الدرس.

ثانيا: اتخاذُ «المبدا»:

المبدأُ: آيةٌ أو أكثرُ أو جزءٌ من آيةٍ، يُزادُ على القدْرِ المستهدَفِ بالكتابة والحفظ، فيدخلُ في التلاوةِ والعَرْضِ آخِرَ لوحِ اليومِ وأولَ لوحِ الغدِ؛ كيلا يكون برزخٌ بين محفوظٍ ومحفوظٍ يليه، فيعسُرَ الترتيب، فالمبدأ إذاً أشبهُ بما يُسمَّى في عِلم التحقيقِ والمخطوطاتِ بـ «التعقيبة»: وهي أن يُثْبِتَ الناسخُ في نهايةِ الصفحةِ اليُمنى تحت آخِر كلمةٍ من السطر الأخيرِ - أولَ كلمةٍ في السطر الأول من الصفحة اليُسرى[1]، وكانت قديماً الوسيلةَ المعتمدةَ في الترتيبِ والترقيم، ثم استُغنِيَ عنها اليومَ بالأرقامِ، ومع ذلك آثرتْ بعضُ لجانِ كتابةِ المصاحفِ إثباتَها؛ انتشاقاً لعَبَقِ الماضي.

ثالثا: تصحيح المكتوب:

يُعدُّ تصحيحُ المكتوبِ على الشيخِ من أهمِّ وسائلِ ضبطِ المحفوظِ وإتقانه، وهو واجب على المعلم، لا يسعه تركُه بحال، قال محمد بن سحنون: «وليتفقدْ إملاءَهم»[2]، وقد كان ﷺ يُملِي على أصحابِه، ثم يأمرهم بأن يقرؤوا عليه ما كتبوا[3].

وللتصحيح طريقتان: الأولى: أن يقرأَ الشيخُ، والتلميذُ يُنصتُ، يُصاحبُ تلاوةَ الشيخِ تجوُّلُ قَلَمِه في المكتوب؛ مُصوِّباً الخطأَ، مُفيداً تلميذَهُ التجويدَ،

(١) يُنظر: دراسات في علم المخطوطات، لأحمد بنبين، (١٤٧ - ١٤٨).

(٢) آداب المعلمين، لابن سحنون، (١٠٦).

(٣) يُنظر: قوانين النبوة، لموفق الجوجو، (٥٥٤ - ٥٥٦).

والضبطَ، والوقفَ، والمتشابهَ، وشيئا من قواعد الرسم، وللتلميذِ أن يقرأ خلفَ شيخِه كلَّ آيةٍ على حِدَتِها، وله أن يقرأ اللوحَ جُملةً واحدةً بعد فراغِ الشيخ.

الطريقةُ الأخرى: أن يُنصتَ الشيخُ لقراءةِ التلميذ، مصوِّباً مكتوبَه بقلمه، ومتلوَّه بالمشافهة، دون أن يقرأ الشيخ، وهذه الطريقةُ تُعتمَدُ غالباً لمن اشتدَّ عودُه من الطلاب.

فإحدى هاتين الطريقتين سبيلٌ لضبطِ المكتوب، والأُولى أبلغُ وأعلى أداءً، لحصول التلقّي بالعرضِ والسماعِ.

رابعاً: العَرضُ على الشيخ:

عرضُ المحفوظِ على الشيخِ من أهمِّ أعمالِ الكُتَّابِ، وأعظمِ أسبابِ جودةِ الحفظِ والأداء، وقد عرض النبيُّ ﷺ القرآنَ على أُبَيِّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه[1]، أسند الإمامُ الدانيُّ إلى أبي عُبَيدٍ قال: «يعني هذا الحديثُ عندنا أن رسول الله ﷺ إنما أراد بذلك العرضِ على أُبيٍّ أن يتعلم منه أُبَيٌّ القراءةَ، ويَستثبِتَ فيها، وليكون عرضُ القراءةِ سُنَّةً»[2].

ويُسمَّى العرضُ على الشيخِ في عُرفِ الكتاتيبِ: «العريضة»، أو «التسميع»، ولا يُتساهلُ عندهم في تركه، وهو كذلك، فإنه واجب على الشيخ، قال محمد بن سحنون: «ولا يجوز أن ينقلهم من سورة إلى سورة حتى يحفظوها بإعرابها وكتابتها»[3]، يَعرِضُ التلميذُ على شيخه ما استظهره من القرآن، فإن سَلِمَ له حفظُه من اللحنِ والتلعثُمِ والتردُّدِ؛ أُجِيزَ الحفظُ ومُحِيَ اللوحُ، وإن وُجِد ذلك وقَلَّ؛ أُمِرَ

(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب أبي بن كعب، رقم (٤٩٦٠).

(٢) شرح القصيدة الخاقانية، للداني، (٢٣).

(٣) آداب المعلمين، لابن سحنون، (١٠٦).

بأشواطٍ بين العشرة والثلاثين تجبُرُ ضعفَه، وإن تفاحش الخطأُ أو كثُرَ التردُّ؛ أُرجِئَ العرضُ والمحوُ لغَدِه، ورُبما كانتِ العقوبة[1]، وبعضُ المشايخ الذين يشتركون في طُلَّابٍ مُعيَّنين يُغايرون بين الـمُصحِّحِ لِلَّوْحِ والمَعروضِ عليه؛ استيقاناً من صوابِ القراءة.

وبالعرضِ الـمتصل بالختم -في عُرفِ الكتاتيب- يُنسَبُ الطالبُ إلى شيخه، فيُقال: أخذَ فلانٌ القراءةَ عن فلان.

خامسا: تعاهد المحفوظِ:

يُطلق على التعاهُدِ في العُرف الكتاتيبي «المراجعة»، وهو مأمورٌ به خوفَ التفلُّتِ، يقول ﷺ: «**إنما مثلُ صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المُعقَّلةِ، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت...**»[2]، وتعاهُدُ محفوظِ التلميذِ من أعمالِ المعلِّم، يتفقَّدُه ويأمرُه به، قال ابن سحنون: «وعليه أن يتفقدهم بالتعليم والعرض»[3].

وفي عُرف الكتاتيبِ يُقسَّمُ المحفوظُ إلى أخضرَ ويابسٍ: فللأخضر -وهو المحفوظُ حديثاً- «المحايات»، وللبابس -وهو القارُّ من الحفظ- ضروب من التعاهُدِ، منها: الوِردُ اليوميُّ، والوردُ الأسبوعي، والحزب، و«السَّروة».

١- «**المحايّات**»: وهي آخِرُ ما حفظ الطالبُ من كتاب الله، وفي قدرها اختلاف، الأكثرُ على أنها ثلاثةُ أحزابٍ من آخرِ لوحٍ مُحِي، وإنما سُمِّيَتْ بالمحاياتِ لقُربِ عهدِها بمَحْوٍ، وغالباً ما يكونُ زمنُ تلاوتها عَقِبَ عَرْضِ اللوحِ ومحوِه وانتظار جفافه.

(١) ويُطلق على الطالب الذي لا يحفظ لوحَهُ -في بعض المدن الليبية مثل زليتن- اسمَ: مصَبَّخْ!!.

(٢) صحيح البخاري، باب استذكار القرآن وتعاهده، (٤٦٤٧).

(٣) آداب المعلمين، لابن سحنون، (١٠٤).

يُدمِنُ الطالبُ تلاوةَ «محَّاياتِه» كلَّ يومٍ، وكُلَّمَا استجدَّ حِفظاً -كثُمُنٍ- تركَ نظيره من أولِّ «المحَّايات»، مُلحِقاً إياهُ ببابسِ المحفوظ، مُضيفاً ما استجدَّهُ إلى المحايات، وهكذا يفعل كلما استجدَّ له حفظٌ.

٢- **الوِرد اليومي**: وهو قَدرٌ شبهُ ثابتٍ من القرآنِ يُتلَى تعاهُداً، في خُلوةٍ، أو على قَرينٍ، أو قريبٍ، والطلبةُ مختلفون في قدْرِ الوِرْدِ اليوميِّ باعتباراتٍ كثيرة، كجودةِ الحفظ، وقِدَمِه، وكمِّ المحفوظِ، ومَرتبةِ القراءة، ونحو ذلك، ودأبُ المنتهين من الطلبةِ وأشباهِهم رُبُعُ القرآنِ كلَّ يوم.

والشيخُ يُوصي تلاميذَه بأنَّ أوقاتَ المراجعةِ لا تُتركُ رَهْنَ الفراغ، ولا تكون فَضلةً، بل وقتُها العُمدةُ المُقدَّم، وسائرُ الأعمالِ فضلةٌ تُستدرك، وإذا زاحمَ المحفوظُ حديثاً المحفوظَ القديمَ - أي زاحم الحفظُ المراجعةَ - قُدِّمتِ المراجعةُ التي هي رأسُ المال، وتُوُقِّفَ عن الحفظِ الذي هو الربح، ورُبَّما تمثل الأشياخُ لذلك بقولِ ابنِ عاشرٍ في المرشد المعين:

ويحفـظُ المفـروضَ رأسَ المـالِ والنفـلَ ربحَـه بـه يُـوالي

٣- **الورد الأسبوعي**: وهو قدر ثابتٌ أو مُوصىً به من الشيخ، يَعرضُه التلميذُ على شيخه أو كِبارِ تلامذَتِه في يومٍ مُعيَّنٍ من الأسبوع، يُسمَّى يومَ المراجعة، وفي الغالبِ يكونُ آخِرَ أيامِ الأسبوع، كالأربعاءِ فيما مضى، والخميس في هذه الأيام، وقد جاء عن ابن سحنون التخيير بينهما[1]، ثم هو - يوم المراجعة- يومٌ عصيبٌ، مشهودٌ بالصُّراخِ، عامرٌ بالدموعِ، عاجٌّ بالـمُعَذِّرين من الطُلاب.

(١) آداب المعلمين، لابن سحنون، (١٠٤).

والـمُبرَّزون مِن الأشياخِ يُلزِمُون طُلَّابهَم بفترتين كلَّ يوم، تـخصَّصُ إحداهما للمراجعة، وعلى هذا ينقُصُ مِقدارُ الـمُراجَعِ، وينتفي الوِردُ الأسبوعي.

٤- **قراءة الحزب**: الحزبُ هو التحلُّقُ لقراءةِ القُرآنِ جماعةً، بصوتٍ واحدٍ، ووقْفٍ واحدٍ، وهي طريقةٌ دَخيلةٌ على الكتاتيبِ الليبية، استمدتْها من المغربِ الأقصى، لـمَّا حطَّ بعضُ قُرائِه -وهو الشيخ مراكش- رحالَه في هذه البلاد، وكان قاصداً البيتَ الحرام، فنزل بمدينة مسلاته، وترك فيهم هذه الطريقة(١)، أواخرَ القرنِ التاسعَ عشر.

وأولُ ما قُرِئَ الحزبُ بمدينةِ مسلاته في زاويةِ الهمالي بقرية وادنه، يُقرأُ حزبٌ بعد صلاةِ المغربِ، وآخرُ بعد صلاةِ الفجر(٢)، فيُختمُ القرآنُ كُلَّ شهر مرة.

ثم تحُلِّقَ له في جامع المجابرة، وترأسَه الشيخُ عبدْ السلام القاضي، ولا زال قائما حتى آخرِ عقدٍ من الألفيةِ الثالثة، يرأسُه الشيخ إبراهيم الزنيقري، يُتلى منه حِزبٌ قبل صلاةِ المغربِ، وحزبٌ بعدها، ليُختمَ في كل شهرٍ مرةً أيضا.

وفي زاويةِ الجعرانى عُقِدَ له مجلسٌ كذلك، وما زال الشيخ عمران كشيدان على رأسه منذ عقود، يُختمُ مرةً في كلِّ شهرين، بحِزبٍ واحدٍ يُتلَى قبل صلاةِ العشاء.

وكذلك عُقِدَت للحزب حلقاتٌ أخرى لم يُكتب لها الاستمرار، كحزب جامع حمزة، والدوكالي، وخلفته، والإسراء... بخلاف الأحزابِ الثلاثةِ السابقةِ، فقد طال عمُرُها، والتزمَها عددٌ من المشايخِ والطُلَّابِ المُبرَّزين.

وباشتدادِ الخصومةِ في الحُكْمِ الفقهيِّ للحزبِ جفا عنه فِئامٌ من الملازمين له، وبموت أكابر من يرون جوازَه انقرض أو كادَ يفعل.

---

(١) رواية شفهية للشيخ عبد الله سالم كشيدان، في مقابلة مع الباحث منتصف شهر رمضان ٢٠٢١.

(٢) يُنظر: مسلاته في العهد العثماني الثاني، لغيث العربي، (١٨٧).

ويَتْبَعُ الحزبُ الشهورَ العربيةَ بَدْءاً ومنتهىً، فليست تخترمُه عُطَلٌ، ولا جُمُعاتٌ، ولا أعياد، فإن حال دونه عذرٌ أو نقص شهرٌ؛ فُرِّقَتْ أثمانُ الحزبينِ على عِدةٍ من أيامٍ أُخَر.

وللحزبِ رأْسٌ يتولَّى الإشارةَ إلى الوقف، وهو في الغالب أقواهم حفظاً، ويكون عن يمينه ويساره عادةً أبرعُ الحفظة، ويُولَمُ للحزبِ عند الختم، وبعضُ الأحزابِ وُقِفَت لها أشجارُ زيتونٍ، يكون ريعُها لمن تحلَّق لقراءته.

ويَهدِفُ الحزبُ إلى صقْلِ الحفظ، وإعلامِ قارئه بما برِئَ عليه لسانُه من اللحنِ في الحروف أو الحركات، كما يُفيدُ قارئُه منه الوقفَ الهبطيَّ، وتعاهُدَ المحفوظِ، وتحصيلَ شيءٍ من علمِ المتشابه، عن طريق الإشارة باليد إلى عدد ما تكرر، أو إلى هيئة المرسوم.

وأما مثالبُ هذه الطريقةِ فكثيرة، منها إهدارُ الأحكام التجويدية، حتى مبادئُها، كأحكام الميم، والنون، والتنوين، ومقادير المدود، ومنها التنفس أثناء الآية بل الكلمة، لأجل طُولِ ما بين وقفتي الإمام الهبطي، ومن أشنع مثالبه عدمُ إتمامِ الحركات، والمداومةُ على التصديقِ عند الانتهاء من التلاوة، كذلك هو معقودٌ للتلاوةِ تعبُّداً أو تعاهُداً، لا للتعلُّم.

ولأجلِ اعتبارِ ما سبق من محاسنَ ومثالبَ، وقع الاختلافُ بين أهلِ الكتاتيب في العمل بالحزب، فمنعه طائفةٌ منهم، وقالت به أُخرى، وللشيخ محمد تقي الدين الهلالي المغاربي في كتابه «الحسامُ الماحقُ» فصلٌ أفردَهُ لذمِّ الحزبِ وبيانِ معايبه، وسيأتي بيانُ حكمه في المطلب الثاني من المبحث الخامس -الاصطلاح الفقهي.

٥- «**السَّرْوَة**»: من السُّرَى، وهي «التلاوةُ من قبلِ طلوع الفجر حتى طلوع الشمس، وهذه في جميع الأسبوع، ما عدا يومي الإثنين والخميس»[١]، وهي خاصّةٌ بالآفَاقيين الذين يسكنون الزوايا فقط، واليومَ انقرضت حتى بالنسبة إليهم.

سادساً: الاختبارُ والمنافسة:

إن من أهم أسبابِ قوةِ الحفظِ وإتقانِ التلاوةِ امتحانُ الطلابِ في محفوظهم، وهذا أمرٌ معروفٌ في صدر الإسلام ومعمول به، روى البخاريُّ عن علقمةَ قال: «كنا جلوسا مع ابن مسعود، فجاء خبّاب، فقال: يا أبا عبد الرحمن، أيستطيع هؤلاء الشباب أن يقرؤوا كما تقرأ؟ قال: أمَا إنك لو شئتَ أمَرتُ بعضَهم يقرأ عليك، قال: أجل، قال: اقرأ يا علقمة، فقال يزيد بن حدير: أتأمر علقمة أن يقرأ وليس بأقرئنا؟! قال: أمَا إنك إن شئتَ أخبرتُك بما قال النبي ﷺ في قومك وقومه، قال علقمة: فقرأتُ خمسين آية من سورة مريم، فقال عبد الله: كيف ترى؟ قال: قد أحسن، قال عبد الله: ما أقرأ شيئا إلا وهو يقرؤه»[٢].

وقد اتـخذتْ كتاتيبُ مسلاته في سبيلِ الاطمئنانِ على محفوظِ الطالب، ودفْعِه إلى منافسةِ أقرانِه على جودةِ الحفظِ – طرُقاً وأساليبَ كثيرة، أهمها: التعتيمةُ، والكشكشة.

(١) كتاب فعاليات المسابقة الثانية عشرة، مقال للدكتور الدوكالي نصر: مسلاته ومسيرة تحفيظ القرآن الكريم، (٣٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، رقم (٤٣٩١).

التعتيمة: نسبةً إلى العتمةِ، وهي الظُّلمةُ، والتعتيمةُ: إدارةُ القراءةِ باصطلاحٍ خاصٍّ، يتمثل في «اجتماع الطُلابِ للتلاوةِ من بعد صلاةِ العشاءِ الآخرة، حتى منتصَفِ الليل، ليلتي الإثنين والخميس»[(١)]، يتـخللها امتحانٌ في الرسم، والضبط، والمتشابه، وهي للمتقدّمين من الطلبة فحسب[(٢)]، وذلك أنَّ شيخَ الجامعِ أو الزاويةِ يجمعُ الطُلابَ الـمُنتهينَ في حلقةٍ واحدةٍ، بعد صلاةِ العشاء كُلَّ أَحَدٍ وأربعاءَ من كلِّ أسبوع، ثم يطلب الشيخُ من أبرعِ تلامذتِه الاستعاذةَ، والبسملةَ، وتلاوةَ ثُمُنٍ يُسمِّيهِ له، فيقرؤه بصوتٍ مرتفع، فإذا لحَنَ أو تعثَّر أسكته مَن في الحلقةِ بصوتٍ جماعيٍّ مرتفع، ورُبما صاحبَ ذلكَ سُخريةً منه أو تقريعاً له منهم؛ إيذاناً بعدم رضاهم عن أدائه، أمَّا إذا أجادَ وأحسَنَ، فيقرأُ معهُ الطلابُ أجمعون آخِرَ آيةٍ من الثمُنِ بصوتٍ مُرتفِع؛ تشجيعاً له، وإعلاماً له برضاهم، ثم يُنتقَل إلى الطالبِ الذي يليه، فيُفعَلُ به كما فُعِل بالأول، وهكذا يستمرُّ الابتلاءُ والمنافسةُ حتى تُستوفَى الحلقة[(٣)]، وقد انقرضت هذه الطريقةُ وتُرِك العملُ بها في العقود المتأخرة.

٢- **التكشكيش**: وهي مناظرة بين أهل الكتاتيب، تعتمد على الإلغاز؛ تبيُّناً من قوة الاستحضار، وذلك بضمِ كلمةٍ موقوف عليها إلى لاحقتها، نحو: {قلبي قال} بالبقرة، يقصدون بذلك {ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير}، ونحو: {الله الله} بالأنعام، يقصدون {حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث

(١) كتاب فعاليات المسابقة الثانية عشرة، مقال للدكتور الدوكالي نصر: مسلاته ومسيرة تحفيظ القرآن الكريم، (٣٤).

(٢) ينظر: مسلاته في العهد العثماني الثاني، لغيث العربي، (١٦٨).

(٣) كتاب فعاليات المسابقة الثانية عشرة، مقال للدكتور الدوكالي نصر: مسلاته ومسيرة تحفيظ القرآن الكريم، (٣٣ - ٣٤).

يجعل رسالاته}، أو يُضمُّ حرفٌ من آخِرِ كلمةٍ إلى الحرف الأول من الكلمة التالية، نحو: {تُـطَ} بالنحل، يقصدون {تتوفيهم الملئكةُ طَيبين}، ونحو: {هُوهُو} بالنمل، يقصدون {قالت كأنهُ هو}، وقد يكون المقصد من الإلغاز الاستيثاقُ من الحروف المترادفة أو المتقاربة، كأن يُقال للطالب: اقرأ من قوله تعالى: {فسوَّلتْ له نفسُه قتْلَ أخيه فقتله...} بالمائدة، فرُبَّما قرأ الطالبُ اعتماداً على قُرب المعنى! والصواب: {فطوعت}، أو يُقال: {لا تجعلوا دعاء النبيء بينكم كدعاء بعضكم بعضا} النبيءِ أو النبيِّ؟ فرُبما قال الطالبُ: النبيءِ، لأن النبيِّ بلا همز اثنان فقط، وهما بالأحزاب! والصواب: {الرسول}...

والحقُّ أنَّ الأدبَ مع كلامِ الله تعالى يأبَى هذا الأسلوب في الامتحان والمنافسة، وكذلك الوقارُ يأباه، فحريٌّ بمعلمي القرآن ومتعلميه أن يهجروا هذه الطريقةَ في حروف القرآن، ولا بأسَ ببعضِ تطبيقاتها في علومه، كالتفسير، والتجويد، والرسم، والضبط، والوقف، ومن ذلك سؤال الشيخ أحمد أبو حجر الزليتني للشيخ محمد الشوماني المسلاتي عن طعامٍ ورد في القرآن لا ثانيَ له في الدنيا ولا الآخرة؟ فاستأنف الشيخُ محمد الشوماني ختمةً ليُجيب عن سؤال الشيخ أبو حجر، ثم إنه ظفر بالجواب في سورة المائدة، والطعامُ هو ما حوته المائدةُ التي أنزلت على الحواريين[1]،

(١) يُنظَر: مسلاته في العهد العثماني الثاني، لغيث، (٢٢٢ – ٢٢٣)، وكان كلٌّ من السؤال والجواب منظوماً، قال الشيخ أبو حجر:

يا شوماني يا شوماني يا شوماني *** ما طعامٌ فضلوه ماله في الفضل ثانِ

ليس من طعام الدنيا *** بل ولا من طعام الجِنانِ

فأجابه الشيخ الشوماني:

هذا جوابي عن سؤالٍ *** سُئلَ عن أفضلِ طعامِ

طعامُ ربي لعيسى *** معْ حواريِّيه الكِرامِ

وهذا امتحانٌ في تدبُّر معاني القرآن الكريم، ومن الامتحان في التجويد قولهُم: نونٌ ساكنةٌ آخر كلمة، تليها كلمةٌ أولهُا واو، ومع ذلك لا تُدغم؟ الجواب: {يس والقرءان الحكيم} و{ن والقلم}، ومن الامتحان في الرسم قولهم: الواو من الحروف المنقطعة عما بعدها، ومع ذلك وُصِلت في كلمة؟ الجواب: {ليسوءوا وجوهكم} بالإسراء، وفي الضبط قالوا: يُحبش ألفُ الوصل من أسفلَ إن سبقته كسرة في جميع القرآن إلا موضعا واحدا، ما هو؟ الجواب: {ألمِ الله} فاتحة آل عمران؛ نظراً لتحرك الميم الثانية من مُسمى حرف الميم بالفتح لاجتماع الساكنين، ومن الامتحان في الوقف قولهم: حروف القسم ثلاثة: الواو، والباء، والتاء، أما القسمُ بالواو والتاء فكثيرٌ معلوم، فأين القسم بالباء؟ الجواب: {بالله لشهادتنا أحقُّ من شهادتهما} بالمائدة، على إعمال وقف الإمام الهبطي على {فيقسمان}، ونحو ذلك مما يُثري العلومَ ويُنشِّطُ الفهوم.

واليومَ آلَ الاختبارُ والتنافُسُ إلى عَقْدِ المسابقاتِ على مستوى الفصل، والمركز، والمكتب، والتجمُّعِ، والدولةِ، ثم التميُّزُ للتمثيلِ في الخارج، وفي هذا الخضَمِّ تُحصَدُ الجوائزُ المُغرية، وقد أدَّى هذا إلى رفعٍ ملحوظٍ في مستوى أداءِ الحفظةِ، وفيه دخَنٌ: هو الرياءُ وطلبُ الدنيا، وهي أمورٌ قَلبيةٌ بين العبدِ وربِّه، لا يُتسَلَّطُ عليها، لكنْ يُوصَى أهلُ هذا الشأنِ بأن يتعاهدوا نِيَّاتِهم كما يتعاهدُون أورادَهُم، وليعالج المُعلِّمُ طُلابه، فإنَّ أولَ مَن تُسعَّرُ بهم ثلاثةٌ: منهم قارئٌ، يُقالُ له: قرأتَ ليُقال قارئٌ وقد قيل[1].

ومما تجدر الإشارةُ إليه أن أهل الكتاتيبِ يجعلون المُشارَ إليه في قوله تعالى: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ بسورة المطففين – حفظَ القرآنِ الكريمِ

(١) يُنظر: الجامع، للترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الرياء والسمعة، (٢٣٨٢).

وتجويدَه، ثم التسابُقَ على إحرازِ التراتيبِ فيه! وليس ذلك كذلك، بل المُشارُ إليه حُسنُ الجزاء الذي يُثمرُه تحقيقُ الإيمانِ والعملُ الصالحُ، والتنافسُ فيه هو المسابقةُ والمبادرةُ والرغبةُ[1]، صحيحٌ أن إتقانَ حفظِ كتاب الله من أفضل الأعمال الصالحة، لكنه كما ترى داخلٌ في عموم معنى الآيةِ، لا أنه مقصودٌ بها رأساً كما يُظَنُّ، بل لم يُصرَّحْ في جوازِ السبَقِ إلا بالنصل، والخُف، والحافر[2]، ثم نُظِر إلى المقصد من ذلك؛ فوُجدتِ النُصرةَ لدين الله، فقِيسَ على المذكوراتِ الثلاثةِ ما كان في معناها، ومنها المسابقاتُ القرآنيةُ والعلميةُ في قول بعض أهل العلم[3].

(١) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢ / ١٥٣)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٨ / ٣٥٣).

(٢) يُنظر: الجامع، للترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الرهان والسبق، (١٧٠٠).

(٣) يُنظر: الفروسية المحمدية، لابن القيم، (٢٥٧).

المطلب الثالث: اصطلاحُ ضبط المتشابه

المتشابهُ: عِلمٌ من علوم القرآن الكريم، يُعرَف به المعنى أو اللفظ المتشابه، كإيرادِ القصةِ الواحدةِ في صورٍ شتَّى وفواصلَ مختلفة[١]، ويُسمَّى هذا العلمُ في اصطلاح الكتاتيبِ «التنزيل»، واعتمادُهم فيه على ما تناقلوه مشافهةً، وشيءٍ من منظومةِ الدنفاسي في المتشابه، وقد اشتُغِل بهذا العلمِ في تسعينياتِ القرنِ الماضي ومطلع الألفية الثالثة اشتغالاً عظيما، وظهرت فيها المصاحفُ «المنَزَّلة»، وللمتشابه رموزٌ تدلُّ عليه، وموضوعٌ يتحرَّكُ فيه.

أولا: رموزُ المتشابه، وهي ثلاثة: رموزٌ رقمية، ورموزٌ حرفية، ورموزٌ إشارية.

أ- **الرمزُ الرقمي**: وهو رقمٌ يُوضَع على الكلمةِ أو الآيةِ، يدلُّ على عدد تكرار المتشابه، ومن خلال المؤتمر الشعبي العام صدر قانون في ليبيا سنة (١٩٨٤م) يمنع استعمالَ الحروفِ والأرقامِ غير العربية، فتلاشى ما بقي مُستعمَلا من تلك الأرقام، ولم تُستخدم الأرقامُ العربيةُ المشرقيةُ بعدُ إلا في الكتاتيب، في علم التنزيل الدالِّ على التشابه وعدمه، ولا يزال العملُ عليها حتى يوم الناسِ هذا، ولأهلِ الكتاتيبِ تصرُّفٌ في شكلِ الأرقامِ الخمسةِ الأُوَلِ خاصةً[٢]، وهي كما في الصورة:

---

(١) أما رمز العدد (١): فهو الغين، أول حرف من كلمة غريب، وأما رمز العدد (٢): فإضجاعُ الرقمِ ومطُّ طرفه السفلي، وكذلك العدد (٣)، وأما رمز العدد (٤): فقد رسم بهذه الصورة في الفهرست لابن النديم، وحساب الهند لابن اللبان، وأما العدد (٥): فقد صُوِّر بهذا أو قريبٍ منه في كتاب الباهر، وكذلك الفهرست.

(٢) يُنظر: البرهان، للزركشي، (١ / ٨٧).

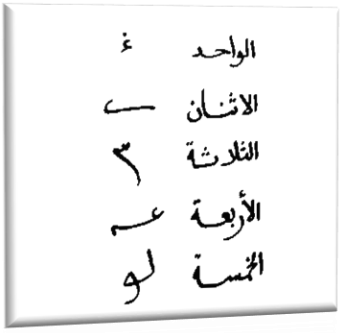

ثم من عدد (٦) إلى آخِرِ ما يحُصُون من المتشابهِ موافقٌ في شكله للأرقام العربية المشرقية.

وهذا الترميزُ الرقميُّ يُتلقَّى عن الشيخِ لدى تصحيحِ اللوح، بحيثُ يضع الشيخُ على الكلمةِ أو الآيةِ ما تستحقُّه من العدد.

ب- **الترميزُ الحرفيُّ**: وهي حروفٌ تُضمُّ إلى بعضها لتدلَّ على تشابُهٍ مُعيَّنٍ، ويُستخدَمُ الترميزُ الحرفيُّ لضبطِ ما يصعبُ ترتيبُه عادةً، وهو أيضاً مُستعمَلٌ عند الفقهاءِ والقُراءِ وغيرهم، فمن ذلك ـ مثلا ـ قولُ البشارِ المالكيِّ في ضبطِ أعمارِ إبلِ الصدقة:

سِـــنُّ المَـــخاضِ سَـــنةٌ ثم ادْرُجِ عامـــاً فعامـــاً والرمـــوزُ مِلْحَـــجِ[1]

وقال الجمزوري جامعاً حروفَ أوائل السور:

ويجمـــعُ الفـــواتح الأربـــع عَشَـــرْ صِـلْهُ سُـحيراً مَـن قطعْـكَ ذَا اشـتهرْ[2]

وبهذا الترميز كان يُضبطُ بعضُ متشابه الكتاب، فمن ذلك:

(١) أسهل المسالك، للبشار، (٩٠).

(٢) تحفة الأطفال، للجمزوري، (٨).

١ – «نعثلش»: ويُرمزُ بها إلى ترتيب ما في سورة الشعراء من قصص الأنبياء مع أقوامهم: فالنون لنوح، والعين لعاد، والثاء لثمود، واللام للوط، والشين لشعيب.

٢ – «حُلمت»: وهي رمزٌ لآيِ آخِرِ سورة الرحمن: فالحاء «حورٌ مقصورات»، واللام «لم يطمثهن»، والميم «متكئين على»، والتاء «تبارك اسم».

ويُتَلقَّى الترميزُ الحرفيُّ عن الشيخِ حال الإملاءِ، والتصحيحِ، والتعاهدِ، كتابةً أو مشافهةً.

جـ– الرمز الإشاري:

يُلجَأُ عادةً إلى لغة الإشارة عند وجودِ العاهةِ كالصمم، أو لكراهةِ التوقُّفِ عن القراءة، فيُشارُ باليدِ إلى عددِ المتشابهاتِ كلما مرَّ القارئُ بها، سواء بكتابة الرقم على الأرض بواسطة الأنملة، أو بالإشارة بالأصبع إلى العدد، كالإشارة بالسبابة والوسطى إلى الاثنين، وهكذا.

وغالباً ما يُتلقَّى الرمزُ الإشاريُّ عند العرض والمراجعة، فيُشيرُ التلميذُ إلى العدد، والشيخُ يُقِرُّه بالسكوتِ، أو يصوِّبُه بذكر العدد الصحيح، أو يتولى الشيخُ الإشارة إلى ذلك.

ثانيا: موضوعُ علمِ المتشابه «التنزيل».

يتحرك علمُ المتشابهِ في ساحةِ الحرْفِ، والرسمِ، والضبط، والوقف.

أ– متشابهُ الحرف:

المقصود بمتشابه الحرف: ما تشابه أو انفرد من الكلمات، سواء كان اسماً، أو فعلا، أو حرفَ معنى، واعتمادُ الكتاتيبِ في هذا على ما تلقوه عن أشياخهم، من مقالات مسجوعة، وأبياتٍ منظومة، معلومةِ المصدر وغيرِ معلومة، يغلبُ عليها

الطابع العاميُّ، من حيثُ الركاكةُ في اللفظ، والهلهلةُ في الوزن، وهذه نماذجُ من متشابه القرآن:

١- ضبطُ ترتيب متشابه «أ•لهٌ مع الله» في خمسة مواضعَ بسورة النمل - بقولهم:

بل همْ بـــلْ ** قليلاً تعالى قلْ

٢. ضابطُ «نزَّل الله»، وفيه أنشدوا قول الدنفاسي:

مـــا نـــزَّلَ اللهُ بـــلا خِـــلافِ في الـمُلكِ والقتـالِ والأعـرافِ[١]

٣. قاعدةُ «تُسَمِّرُ» لضبطِ التشابه بين آيتي البقرة والأعراف، فهذه الكلمة تُبينُ حروف سورة الأعراف:

- التاء: {تُغفر لكم}، وفي البقرة {يُغفر}.

- والسين: {سنزيد}، وفي البقرة {وسنزيد}.

- والميم: {ظلموا منهم قولا}، وفي البقرة {ظلموا قولا}.

- والراء: {فأرسلنا}، وفي البقرة {فأنزلنا}.

٤- «شيخ الواوات»: ويُقصد به الواو الذي بسورة إبراهيم، عند قوله: ﴿۞وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٨﴾[٢]، فإنَّه يُكتبُ -كما في الصورة- بالإصبعِ بعد غمسِه في الدواةِ عِوَضَ

(١) منظومة الدنفاسي، (٥).

(٢) سورة إبراهيم، (٨).

القلَمِ، فيكون بأضعافِ حجم الحروف الأخرى، إشارةً إلى غرابته بين أمثاله في سورتي البقرة والأعراف[1].

٥- قاعدة ضبط {يسعى نورهم} بالحديد، و{نورهم يسعى} بالتحريم، يُقال:

قدِّم يسعى في الحديد *** تستـــــــــــــــتفيد

٦- قاعدة ضبط {ولقد صرفنا} مع الناس والقرآن، وهما موضعان بالإسراء وثالثٌ بالهكف، يُقال في ذلك: «انزع ناس، قدّم ناس، أخّر ناس».

٧. قاعدةُ ضبط {ولو يؤاخذ الله الناس} بالنحل وفاطر، يُقال: «ادخل بالظاء، واخرج بالظاء».

ب- متشابه الرسم:

والمعوَّلُ عليه في ضبطِ متشابِه الرسمِ ما تناقلتْه الكتاتيبُ على ألسنةِ الأشياخِ من ضوابطَ وقواعدَ، وشيءٍ من أبياتِ الدنفاسي، ومقدمةِ ابنِ الجزري في التجويد، فمن ذلك:

١- أبياتٌ تُنسبُ إلى الدنفاسي في مواضع (أن لا) المقطوعة، مطلعها:

فـافهم أن لا وكـن إليهـا مُفتكِـرْ قد عُدِّدَت في نظمنا إحدى عشرْ

(١) أخبرني صديقي الدكتور عبد السلام محمود الأسطى أنَّ تلميذا له من دولة النيجر قد أرسل له مصحفا مخطوطا، فكان من ضبطه: كتابةُ هذه الواو بالطريقة المستخدمة في الكتاتيب الليبية. مجلس معه ببيتنا بتاريخ ٥/ ٣/ ٢٠٢٣م.

٢- قاعدةُ «تغني»، والتي تُفيدُ بأن هذا اللفظ لا تلحقه ياء إلا في موضعين، وأنشدوا في ذلك:

كُلْ تُغني تُغطسْ *** إلا النجم ويُونسْ

جـ- متشابه الضبط:

يتحرَّكُ علمُ التنزيلِ في ساحةِ الضبطِ على استحياءٍ مقارنةً بساحة الحرفِ أو الرسمِ، ومما لهم فيه:

١- ضابطُ «جناتٌ» المرفوعة، وفيه أنشدوا:

يـا سـائلا عـن قولـه جنـاتُ ... سـبعةُ أحـرُفٍ حكـى الـرواتُ

ثلاثـةٌ منهـا لـدى العمـرانِ ... وآخِـرِ العقـودِ بالبيـانِ

والرعـدِ والـبروجِ والحديـدِ ... فهـذي سـبعةٌ بـلا مزيـدِ

٢- ضابط إعجام الذال بعد الخاء، وقد جاء في قولهم:

إذا أتـاك الخـاءُ قبـل الـدالِ ... فـانقط ولاتخـف مـن الإشـكالِ

إلا يخـادعون خـدّك الأخـدودِ ... أخـدانُ في النسـاءِ والعقـودِ

٣- ضابطُ الضادِ في بعض الكلمات، وهو:

عضُّوا عِـضِينَ *** في القرآنِ ساقطينَ

د. متشابه الوقف:

مضى أنَّ الوقفَ المعتمَدَ في الكتاتيبِ المسلاتيةِ هو الوقف الهبطي، وقد خُدِمَ هذا الوقف بعلومٍ كثيرة، منها علمُ المتشابه «التنزيل»، حتى أُحصِيَت الوقوفُ على متشابهِ الكلماتِ، فبُلِغَ بها سبعةَ عشرَ في (ذلك)، وأربعةً وأربعين في (الحق)، وكان لهذا فوائدُ وأسبابٌ مختلفة، منها:

١ – التنبيهُ على الحركةِ الإعرابيةِ أو البنائية، نحو:

– «ءايـــةٌ» بالرفع: في موضعين: البقرة، والنمل.

– «كـــذلكِ» بالكسر: موضع واحد: بآل عمران.

٢ – الإعلامُ بالـمُغايرةِ بين المتشابهات؛ تيسيراً للحفظ، في نحو:

– «وأسروا الندامة لما رأوا العذاب» بسورة سبإ، بخلاف يونس.

– «أفلا يتدبرون القرآن» بسورة النساء، بخلاف محمد.

٣– مجردُ الإحصاء، نحو:

– «الملئكة» بالبقرة والمدّثر.

– «الجبال» بهود وإبراهيم.

٤ – الإعانة على استحضار معنىً من بين جملةِ معانٍ للكلمةِ الواحدة، نحو: – «كلَّا»: فإنها جاءت بمعنى نعم، وإي، وحقا، وللردع والزجر، وذلك في ثلاثة وثلاثين موضعاً، وهي إذا وُقِف عليها كانت للزجر، وذلك في ثلاثة عشر موضعا.

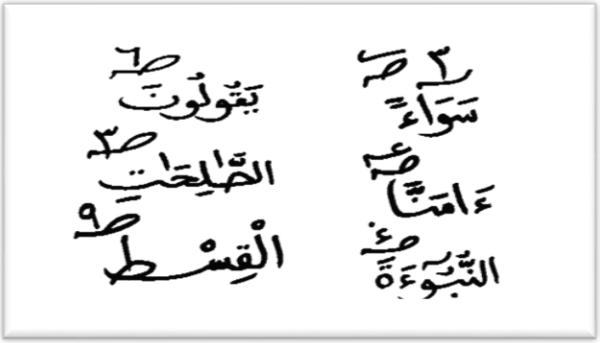

تتـــــمة:

في هذا البابِ -باب المتشابه- يجد كثيرٌ من عوامِّ الحفظةِ لهم مدخلاً في صياغةِ بعضِ القواعدِ ونسجِ شيءٍ من الأبيات، وهذه القواعدُ والأبياتُ غالباً ما تكون مدخولةً، أو ركيكةً، أو ساذجة، بل رُبَّما حوت قِلَّةَ أدبٍ أو رطانةً لا تليقُ بمقامِ القرآن الكريم، فتُتلقَّى هذه الأبياتُ والضوابطُ عن الأشياخِ، ثم تصيرُ عُرفاً يُتعصَّبُ له، فيعسُرُ نقدُها والتحذيرُ منها، ومن ذلك:

أ- ضوابطُ مدخولةٌ، تجمعُ غير المتشابهات بعضها إلى بعض، ومن ذلك:

١- جعْلُ «العَنَتَ» من قوله «لمن خشي العنت منكم» بالنساء - أُختاً لـ«لعْنتُ الله» بآلِ عمران والنور.

٢- جعلُ «فواكهُ» حيثُ وردت، و«نفقهُ» بهود - أُختينِ لـ«يرضهُ لكم» بالزمر.

٣- جعلُ «ينتهِ» حيثُ وردت - أختاً لـ«أرجهِ، ونصلِهِ، ونولِّهِ...».

ب- ضوابطُ لا تُناسب مفرداتُها لغةَ العلمِ ومقامَ القرآن، نحو:

١- قولهم: «الحاج يونس ضرب نملة في آخر تنزيل»، إشارةً إلى مواضع {من في السماوات ومن في الأرض} الأربع.

٢- قولهم:

تـــــئويه تـــئـــوي ***ع الجرة تعـــوي

٣- قولهم:

هامـــ'ـن يا حلـــوف *** الاول ألف والثاني محذوف

جـ- ضوابط أفادت معانيَ ساذجة، لا تكاد تـخفى على مبتدئ، نحو:

١- قولهم:

أمشاجٍ أمهلهم *** أم زاغت مش منهم

٢- قولهم:

كالصريمِ كالرميمِ *** كرتيـــــــن لا

فليس في اتصال كلمات البيتين خلافٌ - ولو ضعيفاً أو شاذاً - حتى يُنصَّ عليه، كالحال في: {ولا تحين مناص} بسورة ص، أو {سَلْ سبيلا} بالإنسان، أو {كالو هم أو وزنو هم} بالمطففين.

د- ضوابطُ تتنافى ألفاظها مع توقيرِ القرآن الكريم، بل بعضُها معدودٌ في نواقض الإسلام، نحو:

١- قولهم إشارة إلى طول الثمن وما به من تشابه:

«وأعدُّوا *** ما اطول جدُّوا»

٢- قولهم إشارة إلى سهولة الحفظ:

«البقره وياسينْ *** سور المفلّسينْ»

٣- قولهم: «شن نقرا في عبس؟!» إشارةً إلى الإلغاز والاستغلاق، وعُسْر الفهم، وتنافُر الكلام.

هـ- ضوابطُ أُسِيءَ فهمُ مستندها، كقولهم: «شيبتني هود»، يُروَى على لسانِ النبي ﷺ؛ استشهاداً به في صعوبة حفظ هذه السورة وكثرة متشابهاتها.

و- ضوابطُ جمعت ما لا ينتظم تحت معيار أو سبب، كقولهم فيما لا يجمعه الحرف الذي قبل المخصص ولا السورة التي بها هذا الحذف:

نشـ'ـــؤا هودٍ دعـ'ـــؤا غافـرْ *** شفعـ'ـــؤا الروم في الرعد كـ'ـــفِرْ

المبحث الثالث
الاصطلاح التحريري

تشتمل كتابة القرآن الكريم على علوم تحريريةٍ متقاربة، منها: الرسم، والضبط، والخط، ولكل منها قواعد واصطلاحات.

المطلب الأول: اصطلاح الرسم

الرسمُ القرآنيُّ: علمٌ تُعرف به مخالفاتُ خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي، وهو توقيفي على الصحيح، والأصل فيه القطعُ ومراعاة الوقف[1].

والرسم العثمانيُّ ركنٌ من أركان القراءةِ الصحيحة، التي جمعها ابن الجزري رحمه الله في قوله:

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ ... وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي

وَصَحَّ إِسْناداً هُوَ الْقُرآنُ ... فَهَذِهِ الثَّلاثَةُ الأَرْكَانُ

وحَيْثُمَا يَخْتَلُّ رُكْنٌ أَثْبِتِ ... شُذُوذَهُ لَوَ انَّهُ فِي السَّبعَةِ[2]

(١) يُنظر: دليل الحيران، للمارغني، (٨٢).

(٢) منظومة طيبة النشر، لشمس الدين ابن الجزري، (٢).

وقد اصطلحت كتاتيب مسلاته على اعتماد ما ذهب إليه الإمامُ أبو عمرو الداني رحمه الله من الرسم[1]، بل لازموا بينه وبين روايةِ قالونَ حدَّ التعبير بها عنه، فيُقال مثلا: «المثنى بـــقالون محذوف أبدا»!

وقد كان لكتاتيب مسلاته في توصيف مذهب الإمام الداني اصطلاحٌ خاصٌّ، لكن لورودِ الخلافِ عن الإمامِ الداني في كيفيةِ رسمِ بعض الكلمات، وانعدامِ النصِّ عنه في أخرى، مع إهمالِ الكتاتيب جانبَ الدرايةِ، وتمسُّكها بالروايةِ عن الآباء؛ صارتِ الكتاتيبُ إلى حَسْمِ الخلافِ باعتمادِ اصطلاحِ مصحف الجماهيرية، فصارَ المصحفُ كتابَ درايتهم، إليه التحاكمُ في توصف مذهب الإمام أبي عمرو الداني، واندرَسَ ما خالف ذلك مما كان معمولا به في الكتاتيب، كحذف ألف {ربانـــــــــين}، وإثبات الواوين في نحو: {لتستوُوا على ظهوره}، {وداوُود وسليمان}، {ما وُورِي عنهما}، ونحو ذلك، ثم زِيدَ في تحقيق مذهب الداني في مصحف الأوقاف الليبيةِ؛ فحُذفت ألفُ {سلطانيَه}، والياءُ الثانيةُ في نحو: {يستحيي} و{يحُيي}.

ويُتلقَّى الرسمُ العثمانيُّ عن الشيخِ أثناءَ الإملاءِ، فكلما مرَّ الشيخُ بكلمةٍ يُخالفُ رسمُها الرسمَ القياسيَّ، ذكر للتلميذِ كيفيةَ رسمها، نحو: ليســوءــوا، ورُبَّما رسم الشيخُ الكلمة على السبورة ونحوها، خاصةً إن كان التلميذُ مبتدئا، وربما أمر بعض

(١) اختص القطر الليبي باعتماد رسم الإمام الداني دون مختلف الأقطار الإسلامية، ما خلا بعض أقاليم الهند وباكستان، وهذا معدود في مناقب المقارئ والكتاتيب الليبية، حيثُ إنها أحيتْ وجهاً مُهملاً من وجوه الرسوم العثمانية المعتبرة، وبعضُ كتاتيب البلد -ككتاتيب مصراته والزنتان وشيء من كتاتيب طرابلس- تعتمد رسم الإمام أبي داوود.

طُلابه بذلك؛ امتحانا له، وتعليما لغيره، وربما سأل الطالبَ ذاتَه عن ذلك إن كانت الكلمة مكررة.

وأما التقعيدُ للرسمِ، وكذا بيانُ استثناءاتِه، فتُتَلَقَّى عن الشيخِ أثناءَ التصحيح، فيُقال -مثلا- في ضابط التاءات:

ما يمنع التـا من الرباطْ *** إلا الجزمْ والعياطْ

وكذلك يُتلقَّى الرسمُ أثناءَ المراجعة، حيثُ يُشيرُ الشيخُ بيده، أو يخطُّ بإصبعه على الأرض شكْلَ المخصص، والحذف، والإثبات، والوصل والفصل، والزوائد، وما أشبه ذلك، وربما فعل التلميذُ ذلك بأمرٍ من الشيخ.

ولأن الرسمَ أبوابٌ معدودة، تكادُ تنحصرُ في باب الحذف والإثبات، والمقطوع والموصول، والألف القائمة والمقصورة، والتاء المقيدة والمطلقة، والإبدال، والهمزات، وما زِيد في هجائه أو نقص - كان للكتاتيبِ اصطلاحاتٌ تتعلق بالمفردات المستعملةِ في الرسمِ، وأخرى تتعلقُ بالضوابطِ الجامعةِ لشتاتها.

أولا: المصطلحاتُ المتعلقةُ بالمفردات المستعملةِ في علم الرسم:

بعضُ هذه المصطلحاتِ هي من قَبيلِ الاصطلاحِ الضبطي أو الإملائي، لكنَّ أهلَ الكتاتيبِ يجعلونه من الرسم، لخلطهم بين هذه العلوم: الرسم والضبط والكتابة، فأنا أذكره هنا اتباعاً لاصطلاحهم:

١- الألِف: يُطلِقُ أهلُ الكتاتيبِ لفظَ «الألف» ويقصدون به الألف المثبتة، التي هي قسيمُ المحذوف، فيُقال مثلا: «كل سبحان بمحذوف، إلا قل سبحان الإسراء بألف».

ويُطلقونه أيضا ويعنون به الألف القائمةَ التي هي قَسيمُ الألف المقصورة، فيُقالُ مثلا: «كل طغى بألف مقصورة، إلا طغا الحاقة بألف».

٢- المحذوف: يعنون به الألف الخنجرية، وهو ألف منفصل عن جسم الكلمة بارتفاعٍ معين فوق مستوى السطر، نحو الألف في «تبـ'ـرك»، وفي «الرحمـ'ـن»، ولا يجعلون منه المخصص، ولا المعانق، وإن كانا في الحقيقة من الألفات المحذوفة.

٣- المخصص: هو حذْفٌ يُضبط بخاءٍ غيرِ مُعجمةٍ شبهِ مقلوبة، سُمِّيَ بالمخصص لأنه اختصَّ بستٍّ وثلاثين ومائةِ كلمةٍ (١٣٦)، أولها «يخَـــدعون» بالبقرة، وآخرها «عِبـــدي» بالفجر، وهو ضبطٌ ليبيٌّ[١] -والضبطُ اجتهاديٌّ باتفاقٍ- لا يُوجد له ذكرٌ في كتب الضبط، ولا في المصاحف القديمة غير المصاحف الليبية، وقد تـخلِّي عنه مؤخرا كما في مصحف الأوقاف.

٤- الانقلاب: وهي الألف المقصورة إذا توسطت الكلمةَ نحو: «سَوَّىٰهَا»، و«إِنَىٰهُ».

٥- المضفّر: وهي ألف صغيرةٌ تُقاطعُ اللام، ويُسمَّى في كُتُب الضبط: اللام ألف الـمعانَق؛ لأن اللام تُعانقُه، فهو حذفٌ مخُتصٌّ باللام، وتسميتُه بالمضفر خطأ، لأن التضفيرَ من الضفيرة، وهي حاصلةٌ في اللام ألف المرسوم هكذا (لا)، إلا أن يُقصَد (المظفَّر) بالظاء، من الظُّفُر، فيكون لتسميتهم وجه.

٦- التاء المفتوحة: هي التاءُ التي يُوقَف عليها بالتاء، نحو: «بيت»، و«شجرت»، وتُسمَّى كذلك: المبسوطة، والمطلوقة.

٧- التاء المربوطة: هي التاء التي يوقف عليها بالهاء، نحو: «جنة»، و«رحمة»، وتُسمى أيضا: المُقيَّدة، والمغلقة، والهاء.

(١) ينظر: مصحف الجماهيرية، (و ـ ز).

٨- المجموع والمفروق أو المفصول: يقصدون بذلك باب المقطوع والموصول، نحو: «فيما/ في ما»، «لكيلا/ لكي لا».

٩- الجرة: هي المطَّة: صِلةٌ بين حرفين تكون عليها ياءٌ أو همزٌ أو نونٌ، نحو: «مـــاب»، و«يستحـــي»، و«نـــــجي».

١٠- السِنّ، أو السّنينة: هي إما مصاحبةٌ لحرفي الصاد والضاد إذا لم يتلُهما حذفٌ، وإما ياءٌ جُعِلتْ صورةً للهمزِ، أو صورةً للألف المنقلبة عن ياءٍ أو واوٍ حشواً، وقد عرت عن الإعجام في كل ذلك، نحو: «لئلا»، «ضُحَهَا»، وتُسمَّى كذلك النَّبْرة، والأخيرةُ يُعبَّر عنها في كتب الرسم بالياء.

١١- التقييد: هو وضع دارَةٍ مفرغةٍ فوق الألف، إعلاماً بأنه غيرُ منطوق، نحو: «قالوا»، «أنا».

١٢- «العياط»: يُقصَدُ به المدُّ بأنواعه الثلاثة: الألف، والواو، والياء، يُقال: التغابُن: «الغين معيّطة بألف»، سينين: «السين معيطة بياء»، وهكذا.

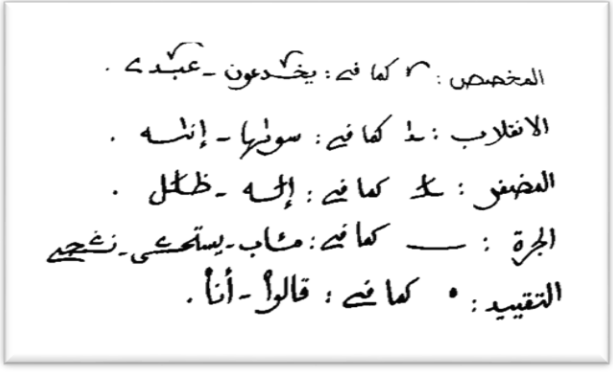

ثانيا: الضوابط الجامعة لشتات المرسوم:

لم يُعرَف للكتاتيبِ المسلاتية اعتناءٌ بكتُبِ الرسم أو متونه المعتمدة، كالمُقْنِع، والعقيلة، وإن كان شيءٌ من ذلك فنظمُ الدنفاسي، الذي هو في علم المتشابه، أُفيدَ منه في بعض أبواب الرسم، وإنما اعتمادُهم -أهلُ الكتاتيب- على اصطلاحٍ تلقَّاهُ لاحقُهم عن سابقهم، نثروا بعضَه، ونظموا بعضَه الآخَرَ في أبياتٍ يغلب عليها الركاكةُ في الأسلوب، والهلهلةُ في الوزن، والعامّية في اللفظ، والمدخوليةُ في الجمع والمنع، بل وقُبح الألفاظِ أحياناً، كقولهم في ضابط حذف ألف السؤال بصيغة الأمر:

وسْألهُـــــــم وسْألْ ***بلا ألفٍ يا جمل!

فإنَّ المرءَ يستحيي أن يُلقِّن تلميذَه هذا الضابطَ، وبخاصةٍ إذا كان التلميذُ قد بلغ مبلغَ الرجال، وقد جرت عادةُ أهلِ العلمِ في ملء الضرورات الشعرية بنحو: يا فطينْ، يا أُخَيّ، يا سميع... ولو غُيِّرَ مثلُ هذا إلى ما يُستحسَنُ نحو: «بلا ألفٍ تجْمُلْ» لكان خيرا، وإن كنتُ لستُ من مناصري المساسِ بأصل المتن، وإنما التصويب والتخطئةُ في الشرح والحاشية، كذلك يُعاب على هذه الضوابطِ المدخوليةُ، فمثلا: يُقال في القاعدة المشهورة: «كل مثنى محذوف، إلا تكذبان» ! فهذه القاعدة ليست بجامعة؛ لترك استثناء «كلاهما»، فإنها ملحقة بالمثنى وقد ثبتت ألفُها، وكذلك هي ليست بمانعة؛ لأنها أدخلت «تكذبان» في القاعدة، وليست من المثنى، بل هي من الأفعال الخمسة، والألف ألف التثنية.

ومهما يكن؛ فقد كانت ولا تزال رموزُ الأقدمين وأنظامُهم ضوابطَ يُستعانُ بها على جمعِ الشتات، والتنبيهِ على الاستثناءات، والعذرُ للأقدمين قائمٌ بالنظر إلى شُحِّ

الكتبِ والمدارسِ، وصعوبةِ الحياةِ وقلةِ ذاتِ اليدِ، ورُبَّما لو عاصرناهم ما كتبنا سوداء في بيضاء، ولا حفظنا ما نقيم به صلاتنا، فجزاهم الله عنا خير الجزاء، فهم ساداتنا وأصحابُ الفضل علينا، ولا يعني هذا جواز التمسك بما أخطؤوا فيه، بل نقدُ ذلك مواصلةٌ لمسيرتهم المباركة في العناية بكتاب الله سبحانه.

وقد اعتمدتُّ في تمثيلي لهذا الأمرِ -ضوابط الرسم- على ما شافهني به شيوخي، وما سمعته من الزملاء وغيرهم، بين عامي (٢٠٠٠ و ٢٠٠٤م)، بل وما اختُرِع من قِبَل بعض الطُّلابِ المنتهين، وعن الشيخين: إبراهيمْ الزنيقري، وصالح كشيدان ﷺ أفدتُّ أكثر اصطلاحات هذا الباب، فمن ذلك:

أ- باب الإثبات والحذف: وللكتاتيب في هذا الباب ضوابطُ كثيرة، منها -مثلا- نظمٌ في الألف الغريب، ونصه:

تداينتُم في الأعوانْ *** تُقاتهْ آلِ عـــمرانْ

كبائر يا إخـــــوانْ *** سُكارى لهم جيرانْ

خادعُهم بالبيـــانْ *** خُذ عدوي عاجـلا

دعَـــوَا يا طـالبا *** لا تُقَـــيِّدْ أبــدا

فانهار في توبـــه *** تُب عليَّ يا مولـى

ءايـاتنا أُثبِتَـــتْ *** بيونسَ حُـــقِّقَتْ

في ثانيها وثالــثْ *** حرفان لا تفعـــلا

قل سبحان في الإسرا *** ثامــنهم قد جرى

والقاسيةُ يا سميعْ *** في الحج ذاك البقيعْ

والصائمين نطيـعْ *** ما كان محـــمد أبا

طائـــركم نزلْ *** في العرجون قد حصلْ

ساجداً يا رجُـلْ *** في الزمـر أُكِّـــدَا

سماوات أُقلِـعتْ *** وبـــاركَ فُـــصِّلتْ

روضات قد أتـتْ *** وجـناتٌ أُزلِـــــفَتْ

سيماهم يا خبير *** في الفتح ذاك الشهيرْ

ساحـــرٌ الأخير *** في الذاريـــاتِ له خوه

سلطانيه لا تنسوه *** في الحـــاقةِ أثبتوه

طغا الماءُ رُتِّلا

زاد بعضهم:

بقادرٍ القـــيامه *** سلَّمَنَا الله من الندامه

ب- باب المقطوع والموصول: ومما للكتاتيبِ فيه من ضوابطَ:

١- قولهم في المقطوع من لفظ (كي لا):

احجزْ لكيلا يا صحيحَ النقْلِ *** في الحشر والأحزاب ثم النحلِ

٢- أبياتٌ تُنسب إلى الدنفاسي في المقطوع من لفظ (في ما)، مطلعها:

لا جناح يا أخي كتبنا *** إن الذين سبقت وجدنا

٣- قولهم في جمع من الموصولات والمقطوعات:

وصل إلياس، مهما، رُبَّما، كأنما *** نعما، اقطع ثلاث مائةٍ مثل ما

جـ- باب الألفات اللينة: ومما ذكروه مما خرج عن القاعدة في الواوي واليائي:

إلا تولاهُ[1]، طغا *** سِيما[2]، ومرضاتِ

نـــــءـــا، الأقصا، رءا[3] *** كذا ترا، تُقاتِ

عصاني، لدا البابِ *** معْ أحيا بِحالِ

سوى يحيى أتى *** في الاسمِ والأفعالِ

د- باب التاءات: ومما جاء عنهم في ذلك:

١ - القاعدة في إطلاق التاء وتقييدها:

«ما يمنع التا من الرباطْ *** إلا الجزم والعياطْ»

٢ - القاعدة في تاءات المرأة المرسومة بتاء مطلقة:

كل امراه مدت رجلها *** إلا امراه خافت من بعلها

٣- أبياتٌ تُنسب إلى الدنفاسي في (رحمت) بالتاء المطلقة، ومطلعها:

يا سائلي عن رحمت المطلوقه *** وغيرها مُقيدهْ موثوقه

٤ - ضابطُ (لعنت) بالتاء:

لعنتُ بالتاء على المأثورِ *** في آلِ عمرانَ أتت والنورِ

هـ- باب ما زِيد في هجائه وما نقص: ومما جاء عنهم فيه:

١ - قولهم فيما يتعلق بالألف الفارقة:

---

(١) بسورة الحج.

(٢) بسورة الفتح.

(٣) سوى موضعين بسورة النجم.

عتـــوْ تـبَا[1] *** سعوْ سـبَا

وأيضا:

وذو فذو لذو وجاءو *** باءو تبوءو كذاك فاءو

٢- مما زيد من الألفات:

ومما زِيد في هــجائه ألفْ *** لأاوضعوا، لأاذبحَّن، مائةً أضفْ

لِشايْءٍ، جايءَ، أنا، ويايـــــءـــسُ *** لإالى، لكنا بالكهف، تايـــءسوا

٣- مما زيد من الياءات:

ملإيه، بأييكم، أييد، أفإينْ *** ونبإي، وأربعٌ كتلقاءي ضُمِنْ

و- باب الإبدال: ومما لهم فيه من الضوابط:

١- ما يتعلق بمد العوض:

«المراه ما تاخذ راجلينْ *** والهمزة ما اتجي بين ألِفينْ»

٢- وفيما يتعلق بالتنوين والتوكيد:

وأبدلنَّ نســـفعاً يكونَا *** كأيِّنْ اعكس في إذاً ذَا النونَا

ز- باب الهمزات: ومما صاغوا فيه:

١- مما شذ عن القاعدة في زعمهم:

واستثنِ ظمأٌ، ونبأٌ *** بتوبةٍ وقل كذا يُستهزَأُ

ونتبوأُ كذاك يتبوأُ *** رُءيا وأربعُ المـــــلؤُا

(١) أي: تبارك، والمقصود موضع الفرقان.

تَنوأُ والنشأةُ مع رئاءَ *** لأملـــءـن واطمـءــنوا الأنبئاءَ

اشمـــءــزت وامتلـــءـــتِ السوأى *** واللؤلو يسوـــــءـــــوا وتَبُوأَ

٢- في التغديرات:

أؤنبكم على الشمالِ *** قليلا وذاك راجح الأقوالِ[١]

(١) يُنشَدُ لهذا في كتاتيب بني وليد:

أؤنبكم فيه اِشارهْ *** راهُ التغديره في ايسارَهْ

المطلبُ الثاني: اصطلاحُ الضبط

الضبط: علمٌ يُعرَف به ما يدل على عوارض الحرف، كالنقط، والحركات، والعلامات؛ إزالةً للَّبسِ عن الحروف، والضبطُ مبنيٌّ على الوصل، وهو محُدَثٌ باتفاقِ أهلِ العلمِ، والخلافُ فيه دائرٌ بين المشارقةِ والمغاربة(١).

وقد كانتِ المصاحفُ في القرون المتقدِّمةِ تُضبطُ بألوانٍ تـخالف لونَ الرسم، والقليلُ جداً من الربعاتِ الليبيةِ مضبوطٌ بذلك، ثم هو منعدِمٌ في الألواح، وليت المصاحفَ المطبوعةَ اليوم تُغايِرُ بين ألوانِ الرسمِ والضبط؛ لأمورٍ كثيرة، منها معرفةُ هذا من ذاك، فلا يكون الجهلُ والخبطُ الذي وقع في مسألةِ تركِ العملِ بالـمُخصص، لما أن رُمِيَ من تركَه بالعظائم، استناداً على أقوال الأئمةِ في مخالفة الرسم العثماني.

وقد اصطلحت الكتاتيبُ المسلاتيةُ على ضبطٍ لمرسومِ القرآنِ الكريمِ، يُعرَفُ بضبطِ المغاربة(٢)، ولم تُفارقْه إلا في نزرٍ يسيرٍ من العلامات، وهو في الجملةِ موافقٌ لضبطِ مصحفِ الجماهيرية ومصحف الأوقاف، وإنما يتعلَّقُ الضبطُ بالخطِّ، وبالحرفِ، وبالحركةِ، وبالعلامة.

---

(١) يُنظر: دليل الحيران، للمارغني، (٥٨٣ - ٥٨٤).

(٢) وهكذا عامةُ الكتاتيبِ الليبية التي تعتمد روايةَ الإمام قالون عن نافع المدني، سواء كانت تعتمد رسمَ الإمام الداني، أو رسم تلميذه أبي داوود، وإن وقع شيء من الخلاف الداخلي بينها، كنقط الياء التي جُعِلت صورة للهمز أو الألف المنقلبة، بينما اعتمدت كتاتيبُ المدن التي تفشو فيها روايةُ حفصٍ عن عاصمٍ -كمدينة الشقيقة وبعض قُرى مدن الجبل الغربي- ضبطَ المشارقة؛ تبعاً لاختيار الإمام الخراز، الذي أخذت به جُلُّ المصاحف المطبوعة برواية حفص الكوفي.

أولا: الخط:

الخط: «رسومٌ وأشكالٌ تدل على ما في النفس»[١]، وهو أنواعٌ، لكلِّ نوعٍ خصائصه، والخطُّ علمٌ مُستقلٌ عن الضبط والرسم، لكن لـمَّا كان النقطُ وبعضُ التصرف في شكل الحروفِ من أعمالِ الضبطِ، بُحثَتْ مسائلُ هذا العلم في أثناء علم الضبط.

وقد كان الخطُّ المُتَّبَعُ في كتاتيبِ هذا القُطرِ -حتى منتصف القرن الماضي- الخطَّ الكوفيَّ المغربي[٢]، والخطُّ الكوفيُّ هو أولُ خطٍّ استُعمل في كتابةِ المصاحف[٣]، فكُتِبَ القرآنُ الكريمُ في هذا البلد وكذا الوثائقُ المختلفةُ بهذا الاصطلاح، وإن كانت الكتابةُ في عموم القُطرِ الليبيِّ عزيزةً، إلا أن الناس اقتصروا من الخطوط على ما ألفوه من مشايخِهم وموثِّقيهم، وبفُشُوِّ الكتابةِ في الناسِ، وانتشارِ المدارسِ، وطباعةِ الكُتُبِ والمصاحفِ - هُجِرَ هذا الخطُّ إلى خطٍّ مزيجٍ بين النسخ والرقعة، وكان مِـمَّن ثبَتَ على التدريس بالخطِّ الكوفيِّ في الكتاتيبِ الشيخُ علي حديد رحمه الله المتوفى مطلع الألفية الثالثة، وقد تتلمذتُ عليه بجامع حمزة بن عبد المطلب (حيّ الزرقة / مسلاته)، منتصف التسعينيات، وسبق عرضُ صورٍ من ربعة الشيخ محمد زهير أبوراس تُبيِّنَ نوعَ الخط المستعمل في المدينة، وكذلك لي مصحفٌ كتبته بخط يدي يوافق هذا الاصطلاح، وهذه نماذج منه:

---

(١) موسوعة الخط العربي، للجبوري، (١٩).

(٢) المصدر نفسه، (١٥١).

(٣) المصدر نفسه، (١٦٦).

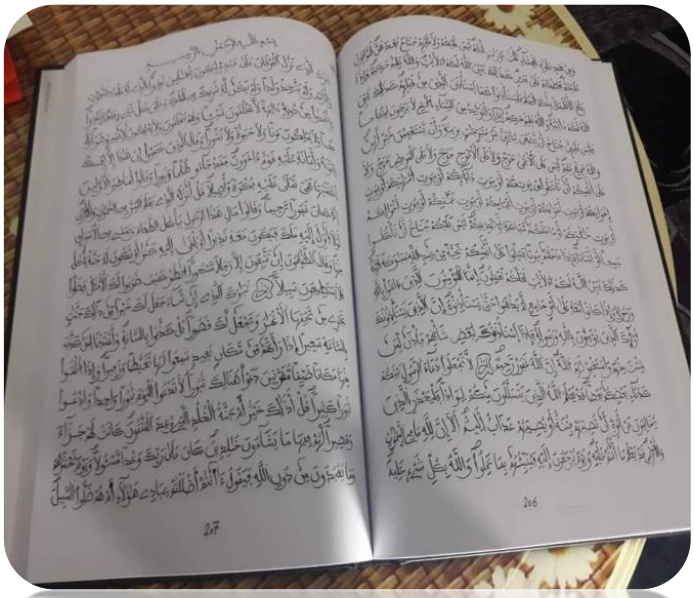

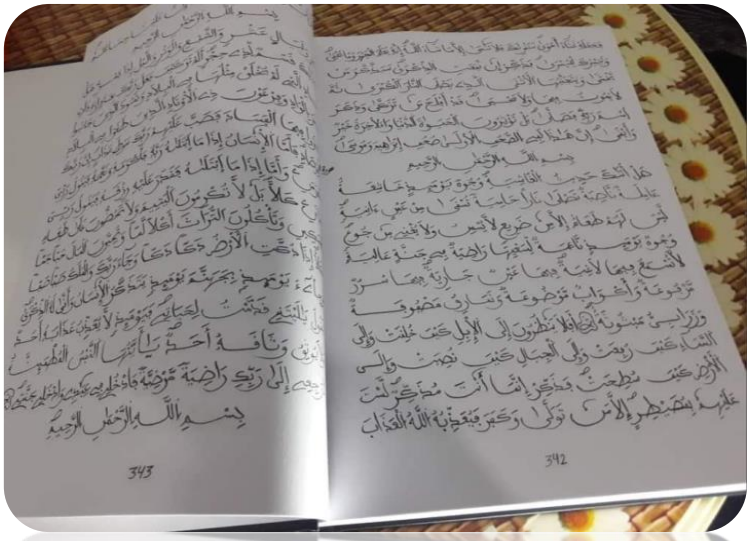

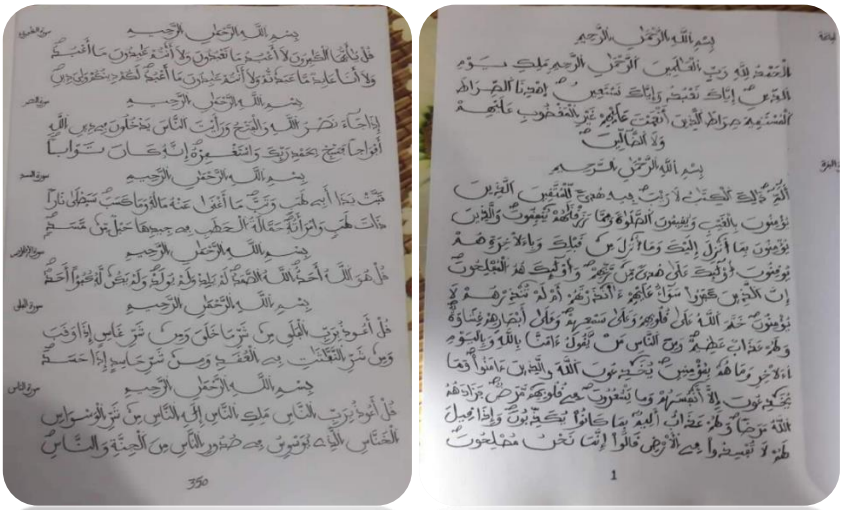

ثانيا: ضبط الحروف:

للحروف في كتاتيب مسلاته ضبطٌ لا يخرج عن ضبط المغاربةِ إلا بقدر ما خرج مصحفُ الجماهيرية، وكان إلى عهدٍ قريبٍ يُعَلَّمُ التلاميذُ الحروفَ تلقيناً، بذِكرِ اسمِ الحرف، وإعجامِه، يقول الشيخُ والطلبةُ يُردِّدون جماعةً: «أليـفْ[1] لا شيْ عليه، والبا[2] وحده مِسْفِل[3]، والتا اثنينه من فوق ...»[4]، ثم هُجِرَ هذا الاصطلاحُ وصِيرَ إلى تلقينِ الطلابِ اسمَ الحرف بحركاته، وحقِّه ومستحقه، واستعمالاته مفردا ومركبا، من خلال ما يُعرف بـ «القاعدة النورانية» للشيخ نور محمد حقّاني.

(١) إشباعٌ للكسرة لاتساق الهزج، ومنه قول عنترة: «ينبَاعُ من ذفري غضوب جسرة»، أي: ينبَع.

(٢) أهلُ مسلاته يحذفون همز أسماء الحروف غالبا، ويُمِيلون ألف (ب ت ث هـ ي)، وينطقون الزاي: (زِين).

(٣) أي: من أسفل.

(٤) وقد رأيتُ هذا الهزج في اصطلاح كتاتيب أهل الحجاز، يُنظر: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، لابن دهيش، (٥١).

والحروف التي لأهل الكتاتيب فيها تصرُّفٌ:

١ – الألف المحذوف إذا وَلِيَ اللامَ قاطعه، وسُمِّيَ مُضفَّراً –وهو المعانَق– وإذا ولي غيره سُمِّي محذوفا، وإذا كان في الستِّ وثلاثين ومائةِ كلمةٍ المعروفة سُمِّي مخصصا.

٢– كان العملُ على ترك إعجام حرف الفاء، والقاف، والنون، والياء إذا تطرفت، وكان يُقال:

«حروفُ يُنفِقُ *** إذا تطرفت لا تُنقطُ»(١)

قال المارغني: «ووجههُ أن حروف (ينفق) إذا تطرفت لا تلتبسُ صورتُها بصورة غيرها»(٢).

ثم هُجِرَ هذا الاصطلاحُ، ولم يبق منه إلا ترْكُ نقطِ الياء إذا تطرفت، مع عقصها إلا في مواطن معينة، وكذلك تُرِك نقطُ الياء إذا كانت صورة للهمز أو الألف، نحو: «لئلا»، «جليها».

٣– لم تكن نبرة للصاد والضاد مطلقا في الاصطلاح القديم للكتاتيب، ثم أثبتت، إلا أن يَلِيَهما محذوفٌ فتُحذفَ؛ مخافةَ اشتباهه بالانقلاب.

٤– تُسمى الميم في آخر الكلمة إن كانت بهذه الصورة (م) ميماً «مهلوبة»؛ تشبيها لطرَفِها بطرَفِ الشعر إذا تدلَّى وبُولغَ في طُوله، وفي المعجم الوسيط: «هَلِبَ هَلَباً: كثُر شعرُه ... وهُلبةُ الشهر: آخرُه، وهلبة الشتاء والزمان: شدَّتُهما»(٣).

(١) وفي البيت اختلافُ حرف الرويِّ بحروفٍ متباعدة المخرج، والحرفان هنا: (القاف / الطاء) وهذا عيب من عيوب القافية، يُسمى الإجازة، أو الإجارة.

(٢) دليل الحيران، للمارغني، (٧٧١).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة، مادة هلب، (٩٩٠ – ٩٩١).

٥- إن كانت كاساتُ كُلٍّ من النون، واللام، والقاف، تحت السطر، وذلك في آخر الكلمة؛ وُصِف كل منها بـ «المعرّقة»، تشبيها للكاسات -وقد نزلت تحت السطر- بالشجرة التي مدت عروقها عميقا، ولهذا أصلٌ في كتب الأقدمين، فقد ذكر القلقشندي علامة التشديد بقوله: «صورة شين من غير عراقة»[١].

٦- الألف الفارقة -التي تلي واو الجماعة وغيرَها نحو: قالوا وأدعوا- تُرسم في بعض كتاتيب المدينة بواوٍ تلحقُ الواوَ الأولى أخفض منها[٢].

٧- يُوصفُ الظاءُ بالـمُشال -للألفِ العمودي فوقه-؛ تمييزا له عن الضاد، فيُقال مثلا: ظلَّ بظاء مشالة، من الشول، وهو الرفع، يقال: شالت الناقة بذنبها، وأشالته: إذا رفعته، وأشال الرجلُ الحجرَ: رفعه[٣].

٨- توصف الياء بالبطة إذا كانت موقوصة، وبالمقدوعة إذا كانت معقوصة، ويقال في الألف المقصورة: الألف المكسورة.

٩- أيُّ طرفي اللام ألف المضفّر هو اللام؟ أكثرُ الكتاتيبِ على أنه الثاني (لاَ)، وهو المعمول به في مصحف أمانة التعليم، ومصحف الجماهيرية، ومصحف الأوقاف الليبية، وبعضُ الكتاتيبِ تجعله الأول (لَا)، وهذا من خلاف قُدامَى اللغويين والنحاةِ، تبنَّى علماءُ الضبط بعدَهم ما ترجَّح عندهم من المذهبين.

---

(١) صبح الأعشى، للقلقشندي، (٣/ ١٦٧).

(٢) المخالفة هنا في الضبط لا في الرسم، لأنه لم يُكتفَ بالواوِ في آخر الكلمة، بل زيد فيها ما يدل على الألف الفارقة، وإنما اختلفت صورتُها عن المعهود.

(٣) يُنظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة: شول، (٥٠١).

١٠- كان إعجامُ الفاء بواحدة من أسفل، والقاف بواحدة من أعلى؛ متى وقعتا أول الكلمة أو وسطها، ثم تُرِك هذا الاصطلاح إلى إعجام الفاءِ بواحدة من أعلى، والقافِ باثنتين من أعلى، على كل حال، كذلك كان للكتاتيب في هيئة بعض الحروف تصرف، كالدال، والذال، والصاد، والضاد والطاء، والظاء، والتاء المربوطة، والجيم، والحاء، والخاء.

١١- الهمزةُ: كانتِ الهمزةُ -محققةً أو مُسهّلةً أو مبدلةً- في الربعات التي تعتمدُ عدةَ ألوانٍ من المِدادِ على صورة التغديرة، سواء كانت الهمزة في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها، ويُفرَّقُ في النطق بين همزةٍ وأخرى بلون المداد، يُستثنى من ذلك الهمزةُ على السطر، فإنها تُرسَمُ على صورةِ عينٍ صغيرةٍ، أو صورة رقم (٤) من الأرقام العربية المشرقية.

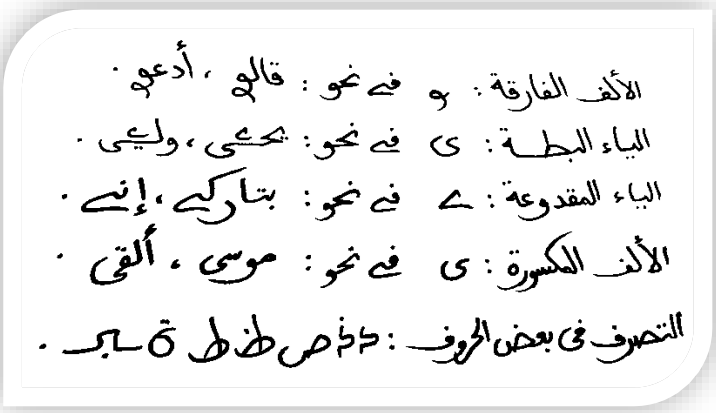

ثالثا: ضبط الحركات:

جرت عادةُ الكتاتيبِ أن يُلقَّن التلميذُ أسماءَ الحركات، وأشكالَها، ومواضعَها، ونُطقَ الحرفِ بها... عَقبَ حفظِهِ الحروف، وإلى عهدٍ قريبٍ كان يُخلَطُ في ذلك بين

ألقابِ الإعرابِ وألقابِ البناء، فيُقالُ لدى الإملاء مثلا: «جاءَ» الهمزة منصوبة، «هؤلاءِ» الهمزة مخفوضة، «ربِّ» الباء مكسورة، بل جاوزوا ذلك إلى تلقين الطلبة: «آليف بالفتحه أَ، آليف بالضمه أُ، آليف بالخفضه إِ، آليف بالجزمه أْ»، ومنه أيضا القاعدة المشهورة في نحو «بيْت»: «ما يفك التا من الرباط *** إلا الجزم والعياط»، ومعلوم أن الجزم لا يكون في أثناء الكلمة بحال.

وليس للكتاتيبِ في ضبطِ الحركاتِ ما يُخالِفُ ضبطَ مصحفِ الجماهيرية إلا في أمورٍ ثلاثة:

١- سُكونُ النونِ أو الميمِ إذا أُخفِيتا أو أُدغِمتا، وكذا سكونُ كُلِّ حرفٍ أُدغِم في مماثله، أو مجانسه، أو مقاربه - فإنَّ هذه السكون تثبُتُ وتُوصَل بخطٍّ متعرِّجٍ نحوَ الأعلى، يُسمَّى «التطيير»، شريطةَ أن يكون الإدغامُ كاملا، وضُبِطَ ذلك في المصحفِ بإذهاب السكون، هكذا: (مِنـكُمْ)، (عَلَيْهِم بِوكِيل)، (اتـخذتُّمْ).

٢- الشَدَّةُ مع الكسرة، في نحو: (ربِّ)، (ألَـمِّ)، فإنَّ الشدةَ ضُبطت في اصطلاح بعضِ الكتاتيب بمرافقتِها الكسرةَ تحت الحرف، على شكل حرف (Z) الإنجليزية، وكثيرٌ من الكتاتيبِ تجعل الشدة تحت الكسرة على هيئةٍ أقربَ إلى صورةِ رقم (٦) من الأرقام العربية المشرقية، وكلُّ هذا اصطلاحٌ قديمٌ لأهلِ المدينة النبوية، مع اختلافٍ في صورةِ الشدة، ذكر ذلك القلقشندي[١]، ثم استقرَّ الأمرُ في مسلاته على جَعلِ الشدةِ فوقَ الحرفِ أبدًا، بما يشبه رأس الشين مع ترك الإعجام، والكسرِ تحته.

٣- عدم انضباط محل الحركة من الحرف: أوله، أو وسطه، أو آخره، بل يُخلط بين ذلك لغير سبب، في الألواح وفي الربعات، بل توضع الحركة خلال

(١) يُنظر صبح الأعشى، للقلقشندي (٣/ ١٦٦).

الحرف، أي: تجويفه، كما في الكاف، وقد تحولُ الحركة بين الحرف وإعجامه، كما في الباء المكسورة، أو القاف المفتوحة، وقد يُتنقَّلُ بين المذاهب كما في موضع التنوين المنصوب، نحو {يُسراً / يُسرًا}، بل ربما وضعت الفتحة فوق الشدة تارة وتحتها تارة، وكثيراً ما لا يُراعى التتابع أو التركيبُ في أنواعِ التنوين بناء على ما بعده من حروف الحلق وغيرها.

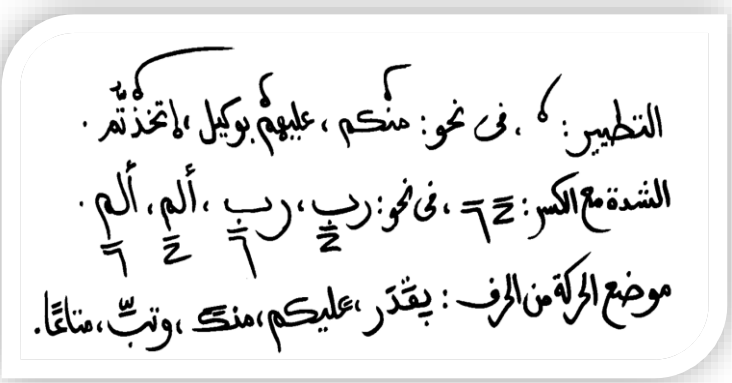

رابعاً: ضبط العلامات:

قد يطرأ على الحرف تغيُّرٌ في نُطقِه يستلزمُ علامةً تدل عليه، وهذه العلاماتُ كثيرة، منها ما هو مشتركٌ بين المشارقة والمغاربة، ومنها ما تفردتْ به مدرسةٌ عن الأخرى، والكتاتيبُ على ما عليه مصحفُ الجماهيرية من ذلك، فمنه:

١. التغديرة: هي دارةٌ سوداء مغلقة، تُجعل محلَّ الهمز المسهَّل والمبدَل، وللدلالة على الإشمام في الكلمة، أو الاختلاس فيها، أو الإمالة... وتُسمَّى هذه جميعُها في اصطلاح الكتاتيب الليبية (تغديرة)، وفي غير هذه البلادِ تُسمَّى النقط، وهو موافقٌ لاستعمال الأقدمين، قال الإمام الخراز:

وكـــلُّ مـــا اخـــتُلِسَ أو يُشَـــمّْ فالشَّـكلُ نقـطٌ والتعـرِّي حُكِـمْ
وعوِّضَـــنَّ الفتحـــةَ المُمالـــه بالنقط تحت الحـرفِ للإمالـه[1]

٢- الخبش: وهو نُتوءٌ أفقيٌ يكون في ألف الوصل، تجردتْ أو تحلّتْ بلام التعريف، يجُعل من أعلى ووسطَ وأسفلَ، للتنبيه على حركةِ ما قبله، وهو نافعٌ جدا في نحو: {ألمِ الله لا إله إلا هو}، وكذلك {وعذابٍ اركض}، وأيضا {وعادا الاؤلى»، ويُتخلَّى عنه مع الواو كما في: {والفجر}.

تنبيه:

قد خالفت الكتاتيبُ في ألواحها وربعاتها المصاحفَ في أمور يسيرة، منها:

١- صورة المحذوف ونحوه مما يدل على مدّ الفتحة، كما في {هذا / على / ضحيها}، فإنه معوجٌّ من أسفل.

٢- لكلٍّ من التغديرات الدالة على الهمزات الثلاث: المحققة، والمُسهَّلة، والمبدلة، لونٌ خاصٌ بها، وبذلك لا يَشتبه الأمر على القارئ، وهذا غالباً مُستعملٌ في الربعات لا الألواح، لأن الألواح تُمحى، بخلاف الربعات، فهي باقيةٌ مُستفادٌ منها لأزمنةٍ طويلةٍ وأجيالٍ متعددة، لذلك يُتفنَّنُ في رسمها وضبطها، وإذا غُوير بين ألوان الهمزات؛ لم تُضبَطْ بالحركاتِ إلا الهمزةُ المحققة، أما مصاحفُ اليوم، فتُضبطُ فيها التغديرةُ المُبدلةُ دون المسهلة، وأما المحققةُ -وصورتُها رأسُ عين- فلا تلتبسُ بغيرها.

٣- صورة علامة المد، سواء كان مداً لازما، أو واجبا، أو غيره.

(١) دليل الحيران، للمارغني (٦١٧ - ٦٢٠).

الهمز في الربعات ذات المداد المختلف : آلم ، يٱسٓ ، هٰؤلاء ، ٱنثى .

التغديرة : ه ، في نحو : ءأنت ، السماءِ أن ، سئيئت ، نعما ، هبار .

الخبش : ك ، في نحو : من كٱلذين ، ربّ كٱلعالمين ، نستعينُ كٱهدنا .

المد : س ، في نحو : الضآلين ، السمآء ، صٓ .

المحذوف : ل ، في نحو : خٰلدين ، هٰكذا ، ومثله : عَلَىٰ .

المبحث الرابع
الاصطلاح الأدائي

يتعلق الأداء القرآنيُّ بصحةِ التلاوة، وحُسنِها، والتغنِّي بها، وتجويدِ حروفِها ووُقوفِها، وتجنُّبِ ما يُـخِلُّ بذلك.

المطلبُ الأول: اصطلاحُ التلاوة

يدخل في المفهومِ الواسعِ للتلاوةِ ما يُقارِنُ القراءةَ، من نداوةِ الصوتِ، وحُسنِ المخارج، والالتزامِ بأحكامِ التجويدِ، وأصولِ الروايةِ، وتحريرِ الطُّرُقِ، واعتبارِ الأوجُه، وتركِ الإحداثِ في القراءة.

أولا: الصوتُ والأداء:

كانت تلاوةُ أهلِ الكتاتيبِ -قبل انتشار الختمات المسجّلة- تمتاز بالأصالة وعدم التكلُّفِ، ولم يكتنفها -في مقام الأداء الصوتي- تقليدٌ للقراء، ولا عمَلٌ بقوانينِ الموسيقى، ولا يزال يُوجدُ عبقُ الماضي في تلاوةِ الخمسينيِّ ومَن قاربه، على ما فيها -غالباً- من ضعف في أحكام التجويد وأصول الرواية، وبعد انتشار الختمات القرآنية المسموعة فُتح هذا الباب، فصار التقليدُ سمةَ قُراءِ العقودِ المتأخرة، وصار الأخذُ بالألحانِ والمقاماتِ الموسيقية كأحكام التجويد أمرًا لا يَسَعُ القارئَ إغفالُه.

أ- تقليد الأصوات:

لمْ يكن تقليدُ أصواتِ القُراءِ ديدنَ الكتاتيبِ الليبية، وإنما طرأ هذا الأمرُ عليها أواخرَ القرن الماضي، حين رجع بأصواتِ أئمةِ الحرمين الحُجاجُ والمعتمرون، وبلغت المحاكاةُ ذروتَها بشيوعِ الأشرطة، والكاسيتاتِ، والراديو، والقنوات الفضائية، وصار دهماءُ الناسِ يقصدون المساجدَ التي يُحاكي أئمتُها أصواتَ المشاهير، وأما المختصون الحاذقون فظلوا ينفرون من ذلك، بل صاروا إلى استملاحِ قراءةِ كبارِ السنِّ -على ما فيها من ضعف في الأحكام والأصول- وتفضيلها على تلاوات أهل المحاكاة؛ لما تحمله من الأصالةِ والاستقلاليةِ.

ب- القراءة بالمقامات الموسيقية:

لم تعرف الكتاتيبُ الليبيةُ المقاماتِ الموسيقيةَ إلا منذ بضعةِ عقودٍ، وليس هذا بمستغرب، فأهلُ هذه الديار على مذهب الإمام مالك، وقد منع مالكٌ ذلك، وبعد مجانبةٍ لهذا الأمر استمرت عقوداً بل قروناً، ولجت هذه البدعةُ كتاتيبَنا، عن طريقِ أهلِ الإنشادِ الطُّرُقي، غير مبالين بالحكم الشرعي، ولا العرف الكتاتيبي، ولا المفاسدِ الناتجة عن ذلك، ولا تزال بعضُ لجانِ المسابقاتِ الدوليةِ تأطِرُ المتسابقين على هذا الأمرِ أطراً، من خلالِ اعتبارِه في تقييم المتسابقين، وقد لوحظَ تراجعُ المراكزِ التي يحُرزُها الليبيون في تلك المسابقاتِ، لمَّا أهملَ مرشَّحوهم المقامات، وإنه لتأخُّرٌ أشرفُ من تقدُّمٍ سبيلُه الغناء، وسيأتي الكلامُ على حُكمِ التقليدِ والقراءةِ بالمقامات في المطلب الثاني من البحث السادس -الاصطلاح الفقهي.

ثانيا: أحكامُ التجويد وأصولُ الرواية

لمْ تحَفَلِ الكتاتيبُ المسلاتيةُ -كغيرها من كتاتيب ليبيا- خلالَ العقودِ الماضيةِ بأحكامِ التجويدِ وأصولِ الروايةِ إلا قليلا، خاصةً الجانبَ النظري، بل كان يُقال على سبيلِ التخييرِ والتراتُبية: فلانٌ يُدرِّسُ أو يَقرَأُ بالأحكام، وفلانٌ من دونها!! بل أُخبِرْتُ ممن عاصرَ أواخرَ هذه الحِقبة، أنَّ التباري في حِفظِ القرآنِ الكريمِ كاملاً -في المسابقات- كان على جانبين: الأول: القرآن الكريم كاملا، والثاني: القرآن الكريم كاملاً بالأحكام التجويدية(١).

وإنما كانت عنايةُ الكتاتيبِ بالأصولِ والتجويدِ مُنصبَّةً على الكتابة، فيما عُرِف بالضبط التجويدي، فلا يُرَى -مثلاً- التنوينُ أو النونُ الساكنةُ غَفلا من أحكامه: الإخفاء، والإدغام، والإقلاب، وكذلك صورُ المدودِ، وتغديراتُ تسهيلِ الهمزاتِ وإبدالِها، وتغديرةُ الإمالة... كذلك كانت تُحفَظُ بعضُ ضوابط التجويد، كحروف المد واي، وحروف قطب جد، وينمو، ويرملون، وأيضا يُترنَّمُ ببعض الأبيات، نحو:

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما دم طيبا زد في تقى ضع ظالما

وإن لم يكن العملُ بمقتضى ذلك كله على الوجه المرضي، إلا أنه كان يُحمَد في تلاواتِ الكتاتيبِ خلوُّها من الترعيدِ، والتطنين، ولَوكِ اللسان، وتركِ التنطع والوسوسةِ في مخارج الحروف وصفاتها... على أنَّ التأخُّرَ في هذا المضمار لم يمنع مِن تألُّقِ بعضِ مشايخِ المدينةِ فيه تألُّقاً نسبيا، كالشيخ عبد السلام القاضي، الذي عُرِفَ وتلامذتُه بالاعتناء بأحكام التجويد وأصول الرواية(٢)، وكان الشيخ عبد السلام

(١) مجلس مع الشيخ عثمان الطاهر عيسى، شهر أكتوبر ٢٠٢٢م، وكان عاصر هذه الازدواجية، وهذا التحوُّل.

(٢) يُنظر: مناقب علماء مسلاته الأخيار، لنصر الدين، (٨١).

الأربيع يُدَرِّسُ المقدمة الجزرية في كُتَّابه[1]، وللشيخ محمد بن محمد العربي ربعةٌ على حاشيتها رسمٌ يوضح حال الفم عند النطق ببعض الحروف والأصول[2].

وقد أدى اختلاف قبائل مدينة مسلاته في اللغة: استعمالاً، ولهجةً، ومفرداتٍ، إلى تبايُنِ تلك القبائل في جودة الأداء القرآني، فالقصباتُ مثلاً –وهي ستُّ قبائلَ تستوطنُ مركزَ المدينة– يغلبُ عليها الإمالةُ في نحو: {جاء} و{مشى}، بينما يغلب على غيرها من قرى المدينة الفتحُ، وكذلك التاء الساكنة مع ما بعدها، كما في: {يتْشمَّت}، {يتْسلف}، فإنها مُظهرةٌ في لهجة القصبات، مُدغمةٌ في لهجةِ غيرهم، ومثلُ ذلك مُثَلَّثُ حرفِ المضارعة، نحو: {نعرف / يكبر/ يقتل}، فإن لهم فيها تصرفا لا يكاد ينضبط، وغيرُ القصباتِ على تلتلة بهراءَ في غالب هذا الباب.

وأما مخارجُ الحروف، فالغالب على القصبات حُسْنُها، ومما يُؤخذُ عليهم فيها –وهو مؤثِّرٌ في الأداء القرآني– عدمُ النطقِ الثاء، والذال، والظاء، فهي في غير التلاوة تاء، ودال، وضاد، يُقال: (تلاجة / دِيب / ضالم)، ويُؤخذ على أكثر القرى المجاورة عدمُ إتمام الحركات في أكثرِ كلامهم، وإشمامُهم السكونَ شيئا من الحركة في حروف الحلق حتى كأنه قلقلة، نحو: (محَمود / نَخَلة / مهَدي / معَتوق)،كذلك يؤخذُ على لسانهم إبدالُ الضادِ ظاءً، كما في: {المغظوب / الظالين}، فإنَّ المدرسين يجدون بسبب ذلك صعوبةً بالغةً في تقويم تلاوةِ صبيانهم سورةَ الفاتحة.

(١) المصدر نفسه، (١١٦).

(٢) المصدر نفسه، (٥٤).

وأما صفاتُ الحروف، فالمُعتنى به من ذلك الهمسُ، الغنةُ، والقلقةُ، وفي تفاصيلِ ثلاثتِها مآخِذُ لدى الأداء، خاصةً القلقلة، فإنهم يُؤدُّونها شديدةً محَنْيَّةً إلى الكسر.

وأما أصولُ الرواية، فالخللُ فيها قليل، يكاد ينحصر في مقادير المدود، وفي النطق الصحيح بالهمز الـمُسهَّلِ، وبالإمالة، وفي كيفية الوقف على مرسوم الخط.

كان هذا أولَ الأمر، ثم صارتِ الكتاتيبُ مؤخرا إلى الاعتناء بأحكام التجويد وأصولِ الرواية، بدءاً بدراسة بعضِ طُلابِها في معاهدِ القراءاتِ على المتخصصين فيها، أمثالَ الشيخ عبد الفتاح المرصفي، الذي ألقى عصا ترحاله بليبيا سنة (١٩٦٢م)، وظل بها حتى أوائل الثمانينيات، وفيها ألَّف كتابيه: (هداية القاري إلى تجويد كلام الباري)، (والطريق المأمون إلى أصول رواية قالون)[1]، وكان لهما أثرٌ بالغٌ في تحسين التلاوة وجودة الأداء في عامة كتاتيب البلد، وممن أفادَ من هذه المعاهدِ – معهد مدينة البيضاء خصوصا – وأُجِيزَ: الشيخُ حسين الشوماني، والشيخ على الصراري، والشيخ صالح زبيب، والشيخ فرج التركي، وغيرُهم.

وبظهورِ أولِ ختمةٍ مسجّلةٍ بروايةِ قالونَ عن نافعٍ للشيخِ محمود خليل الحصري سنة (١٩٦٨م) – زاد اهتمامُ المشايخِ بأحكامِ التجويد وأصولِ الرواية، فقد كانوا يتحينون موعدَ بثِّ تلاوته عبر إذاعة القرآن الكريم المسموعة بالقاهرة – من خلال الراديو، ولم تكن حينئذٍ ختمةُ الشيخ الحصري بروايةِ قالونَ مُتداولةً في الأسواق، لا الليبية ولا المصريةِ حتى، لا في الكاسيتات ولا الأشرطة، بل ظلت حِكراً على إذاعة القرآن الكريم بمصر، حتى جلبها بعضُ تجُار مدينة مصراته في تسعينيات القرن الماضي، وهو الحاج الشريف محمد بن نصر، فإنه ذكر لدورِ النشر

(١) يُنظر: مقدمة هداية القاري، بقلم تلميذه أحمد الحسني، (٧ – ٨ – ٩).

والتوزيع – ومنها شركة النور – أهميةَ هذه الختمةِ بالنسبة إلى الليبيين الذين تُواطئُ قراءةُ بلدهم هذه الرواية، فأعلموه أنَّها حِكرٌ على الإذاعة، فقصدَ الحاج الشريف صديقاً له مصريا –الشيخ عمرو عبد الله– ليحصل له على هذه الختمة فينسخَها، فاتصل الشيخ عمرو بأبناء الشيخ محمود الحصري، وذكر لهم رغبة الليبيين في ذلك، فسلَّموا له نُسخةً، انتُسخت منها نُسخٌ كثيرةٌ أغرقت المكتباتِ الليبية، عن طريق «مكتبة بن نصر»(١)، فاقتُنيتْ تلك الربعات، وقُوِّمَت بها التلاوات، ومما تجدرُ الإشارةُ إليه، أن الشيخ الحصريَّ رحمه الله قد اختارَ في هذه الختمة وجوهاً ليس عليها العملُ في المقارئ الليبية، كالتقليل في {التورية}، والإظهار في {اركبْ مَعنا}، والياء أو الإبدال في {ليَهب لك غُلاما زكيا}.

ثم ظهرت ختمة الشيخ محمد أبو سنينة، فأنصتَ لها المشتغلون بالقراءة والإقراء، وذاعت في البلاد، وكان الشيخ رحمه الله في هذه الختمة يُوَسِّطُ مدَّ التعظيم، وهو خروجٌ عن طريق الشاطبية، ثم سَجَّلت شركةُ الخِدماتِ الإعلاميةِ المصحفَ المُعلِّمَ لعدد من القُراءِ معَ جمْعٍ من التلاميذ، وكان من بين هؤلاء القُراء الشيخ: علي الفيتوري الصراري المسلاتي، فاقتُنِيَتْ ربعاتُ هذا المصحف، وصُحِّحت عليه التلاوات.

(١) مقابلة مع صاحب المكتبة الحاج الشريف بن نصر في بيته بمصراته، رفقة الشيخ حسين عبد النبي كريّم، ٢٦ / ٢ / ٢٠٢٣م.

كذلك اتصّل بعضُ مشايخِ المدينة – مدينة مسلاته – بأهلِ الاختصاصِ في طرابلسَ وغيرِها، فأحكموا عليهم ما تيسَّر من علوم القراءة، ومن هؤلاء الشيخان الفاضلان: محمد سالم حرشة، وعبد الباسط أحمد الفرجاني، صاحِبا الأثرِ البالغِ في الرُّقِيِّ بتلاوةِ كتاتيبِ مسلاته حدَّ التميُّزِ، وحصْدِ التراتيبِ المتقدِّمةِ محلِّيًّا ودوليا.

وأما **القراءاتُ وعلومُها**؛ فقد نُقل عن بعضِ مشايخِ المدينةِ شيءٌ من الاعتناء بها، فذُكِر عن بعضهم أنه جامعٌ للسبعِ، وعن بعضهم أنه مقتصرٌ على روايةٍ أو روايتين أو ثلاثة، ومن أولئك: الشيخ محمد بن محمد العربي (ت١٩٤٠)، والشيخ مفتاح الأربيع (ت١٩٥٧)، والشيخ امحمد حسين عبد العالي (ت١٩٦٦)، والشيخ عبد السلام الكوت (ت١٩٨٤)[1]، رحم الله الجميع.

وممن يحملُ في القراءاتِ إجازاتٍ أكاديميةً: الشيخُ سعيد انبيص، أُجيزَ بها

(١) يُنظر: مناقب علماء مسلاته الأخيار، لنصر الدين، (٥٤ – ٧٨ – ٩٨ – ١٠٢).

سنة (١٩٦٣)، والشيخ صالح زبيب، أجيز بها سنة (١٩٦٥)، والشيخ عبد السلام القندي، أجيز بها سنة (١٩٦٧)[١]، رحمهم الله جميعا.

وخلال العقود الثلاثةِ الأخيرةِ كانت للكتاتيبِ مشاركاتٌ برواية أو اثنتين، وتحريراتٌ للطرق، وإعمالٌ للأوجه، ثم فشت فيها القراءاتُ السبعُ والعشرُ، الصغرى والكبرى، وكذلك اعتُني بشيء من علوم القراءات، كعلم التوجيه، وعدِّ الآي، وتوفيق الرسم بين القراءات المختلفة، كما شهد المستوى الأدائيُّ في هذا المضمارِ تقدُّماً كبيراً، وإتقاناً لمْ يُسبق، حتى كان التفوُّقُ على المستوى المحليِّ والدوليِّ.

ثالثا: ما جرى عليه عملُ كتاتيبِ مسلاته من القراءة:

كانتِ الكتاتيبُ المسلاتيةُ ولا تزال تعتمدُ روايةَ قالونَ عن نافعٍ المدني[٢]، من طريقِ الشاطبيةِ، طريقِ أبي نشيط، ولهم في جملةٍ من الأوجهِ لقالونَ اختيارٌ تواطؤوا عليه، منها المقدَّمُ، ومنها غيرُ المقدَّمِ، ومنها ما هو خروجٌ عن الطريقِ، ومنها ما هو مُحْدَث.

أ- ما عليه العملُ مما لقالون فيه وجهان - وهو مُقَدَّمٌ[٣]:

١ - الجهرُ بالاستعاذة، وبالصيغة الواردة في سورة النحل[٤].

---

(١) المصدر السابق، (١١٩ - ١٤٣).

(٢) وبعضُ مدن الجبل الغربي - كالشقيقة - تعتمد رواية الإمام حفص عن عاصم من طريق عُبيد بن الصباح، ورُبما قُرئَ له بقصر المنفصل من طريق الفيل أو ذرعان، ولم يُراعَ في ذلك ما يجب للقصر، وهذا مَعيبٌ في حق أهلِ القراءة.

(٣) وضابطُ التقديم غيرُ متفَقٍ عليه، فقد يُقَدَّمُ في زمنٍ ما لا يُقدَّمُ في آخر، أو في قُطرٍ دون قُطر، أو اعتبارٍ دون اعتبار، أو مدرسةٍ دون مدرسة، وقد يكون التقديمُ باعتبار كثرة القائلين، أو لموافقة كثرة القُراء، أو موافقة الراوي المشارك في القراءة.

(٤) يُنظر: الوافي في شرح الشاطبية، للقاضي (٣٤).

٢- قطعُ الاستعاذةِ عن أول التوبةِ، وعن بسملةِ كل سورة، وعن الأجزاء إذا بُدِئ بها بغير بسملة(١).

٣- البسملةُ عند الابتداء بالأجزاء، ومنها أجزاء براءة.

٤- الوقف على البسملة عند الابتداء باسم الجلالة(٢)، وعند الأربع الزُّهر، وعند سورة محمد ﷺ.

٥- الوقفُ على آخر الأنفال عند أول براءة(٣).

٦- إسكانُ ميم الجمع إذا وليَهُ متحرك(٤).

٧- توسيطُ المد المتّصل، وقصر المنفصل(٥).

٨- الطولُ في المد اللازمِ لدى فاتحة آل عمران {ألم الله} حال الوصل؛ للفتح العارض، ولدى فاتحة الشورى ومريم {عين}؛ لِلِّين(٦).

٩- قصرُ هاء «ومن يأته مؤمنا» بسورة طه(٧)، وفي ربعة الشيخ محمد زهير أبو راس المسلاتي ضُبطِت بالصلة، ولم أُدركْ مَن يُقدِّمُ هذا الوجهَ من مشايخِ المدينة.

١٠- إدغامُ القاف في الكاف إدغاما كاملا في {ألم نخلقكم} بالمرسلات(٨).

---

(١) يُنظر: غيث النفع، للصفاقسي، (١٩)، والطريق المأمون، للمرصفي، (٣١ - ٣٢).

(٢) المصدر نفسه، الغيث (٢٠ - ٢١)، والطريق (٣٤ - ٣٥).

(٣) يُنظر: غيث النفع، للصفاقسي، (٢٠ - ٢١).

(٤) يُنظر: الطريق المأمون، للمرصفي، (٣٩).

(٥) المصدر نفسه، (٥٣ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧).

(٦) يُنظر: الوافي، للقاضي (٦٦)، والطريق، للمرصفي، (٨٢).

(٧) يُنظر: الطريق المأمون، للمرصفي، (٤٤).

(٨) يُنظر: غيث النفع، للصفاقسي، (٢٩٩).

١١- الإدغام في {يلهث ذلك} بالأعراف، و{اركب معنا} بهود[١].

١٢- إخفاء الميم الساكنة عند الباء، مع إطباق الشفتين[٢].

١٣- الإبدال في همز «ءآلذكرين» معاً بالأنعام، و«ءآلن» معاً بيونس، و«ءآلله» معاً بيونس والنمل[٣].

١٤- الإدخال في «أؤشهدوا خلقهم» بالزخرف[٤].

١٥- إبدالُ أخرى الهمزتين من كلمتين واواً محضةً مكسورةً في نحو: {يشاءُ إِلى}[٥].

١٦- الإبدالُ مع الإدغامِ وصلاً في {بالسوِّ إلا} بسورة يوسف[٦].

١٧- المد في نحو: {البِغاء إن أردن}، والقصر في نحو: {شا أنشره}[٧]، وفي نحو {شا أنشره} خلافٌ بلغني عن أشياخ المدينة المتقدمين ولمْ أدركْه، لكن رأيتُ اعتماد التوسط في ربعة الشيخ محمد زهير المسلاتي.

١٨- البدءُ بـ{الأُولى} في قوله {عاداً الُّأوْلى} بالنجم[٨].

---

(١) يُنظر: الطريق المأمون، للمرصفي، (١٣٢).

(٢) المصدر نفسه، (١٤٢).

(٣) المصدر نفسه، (١٠٩ - ١٣٣ - ١٣٩).

(٤) المصدر نفسه، (٩٤).

(٥) المصدر نفسه، (١٠٧).

(٦) المصدر نفسه، (١٠٠).

(٧) يُنظر: الوافي، للقاضي، (٧٧).

(٨) يُنظر: الطريق المأمون، للمرصفي، (١٢٢).

١٩- الفتح في {التورية} حيثُ وقع[١].

٢٠- فتحُ ياء {ولئن رُجعتُ إلى ربيَ إن لي} بفصلت[٢].

٢١- حذف زائدتي {الداع إذا دعان} بالبقرة وصلا ووقفا[٣].

٢٢- إثباتُ ياء {ءاتاني} وقفا[٤].

٢٣- الإشمامُ في {تأمـــــــــنـــا} بيوسف[٥].

٢٤- الهمز في {لأهب لكِ} بمريم[٦].

تنبيه: لم أتعرض للتقليل في {ها يا} بمريم، ولا للإبدال في {أيمة} حيثُ أتى، أو في زوائد {التلاق} و{التناد} بغافر، أو الغنة في اللام والراء، ونحو ذلك؛ لأن كل ذلك من غير طريق الشاطبية، ثم هو غير معمول به في الكتاتيب، وقد لا يُعرف أصلا.

ب- ما عليه العملُ مما لقالون فيه أوجه ليس منها مُقدَّم باتفاقٍ أو غالبية:

التوسط في المدِّ العارض واللين، نحو: {العالمين}، {البيت}.

جـ- ما عليه العملُ مما لقالون فيه وجهان - وهو غير مُقدَّم:

١- وصل البسملة بأوائل السور إلا الزهر[٧]، وهو اختيارُ الهبطي.

---

(١) المصدر نفسه، (١٥٣).

(٢) يُنظر: غيث النفع، للصفاقسي، (١٥٢).

(٣) المصدر نفسه، (٥٣).

(٤) المصدر نفسه، (٢١٢).

(٥) يُنظر: الوافي، للقاضي، (٢٤١).

(٦) يُنظر: الطريق المأمون، للمرصفي، (١٠٩ - ١١٠).

(٧) يُنظر: غيث النفع، للصفاقسي، (٢٠ - ٢١).

٢- الإدغامُ في {ماليه هَّلك} بالحاقة[١].

٣- القصر عند الإبدال في {ءالن} معا بيونس[٢].

٤- تفخيم راء {فرق} بسورة الشعراء[٣].

٥- الاختلاس في «نعما» بموضعين: البقرة والنساء، وأخواتها: «تعدوا» بالنساء، و«يهدي» بيونس، و«يخصمون» بسورة يس[٤].

د- ما خرج فيه أهلُ الكتاتيب عن طريق الشاطبية:

١- إسكانُ ميم الرجيم من الاستعاذة وصلاً وإخفاؤها لدى باء البسملة، ويُفعَلُ هذا عند القراءةِ الجماعيّةِ خاصة، وهو خروجٌ عن الطريق، بل الرواية، بل القراءة، وإنما هي روايةُ القصباني عن محمد بن غالب عن شجاع عن أبي عمرو البصري[٥].

٢- التكبيرُ عند سورة الضحى لدى ختم الحفظ أو التعاهد أو صلاة التراويح، وهو خروج عن الطريق، إذِ التكبيرُ مرويٌّ عن البزي، وعن قنبل بخلاف، قال الشيخ علي الصفاقسي: «وكان ابن حبيش وأبو الحسن الخازي يأخذان به لجميع القراء، لكن لا يُؤخذ بهذا من طرقنا، والمأخوذ به منها اختصاصه بالمكي بخلف عن قنبل»[٦].

---

(١) يُنظر: الطريق المأمون، للمرصفي، (٢٩٢).

(٢) يُنظر: الطريق المأمون، للمرصفي، (١٢٠)، والقصرُ موافقٌ لما عليه مصحف التعليم، يُنظر: ص (١٧٥) منه، وكذلك هو المعمول به في مصحف الشيخ صالح دخيل، يُنظر: ص (٣٠٨) منه، بينما عُمل في مصحف الجماهيرية ومصحف الأوقاف الليبية بوجه المد.

(٣) يُنظر: الطريق المأمون، للمرصفي، (١٦٢).

(٤) ينظر: غيث النفع، للصفاقسي، (٦١).

(٥) يُنظر: الإقناع، لابن الباذش (١/ ١٥٣)، وغيث النفع، للصفاقسي، (١٩).

(٦) غيث النفع، للصفاقسي، (٣٠٩).

وهو وإن جوَّزه ابنُ الجزري في الطيبةِ لجميع القراء، إلا أن الدليل على ذلك لا يقوم، قال الشيخ عبد الفتاح القاضي: «وقد اتفق الحفاظُ على أن حديث التكبير لم يرفعه إلى النبي ﷺ إلا البزي، وأما غيره فرواه موقوفا على ابن عباس و مجاهد»(١).

٣- مدُّ التعظيمِ عند جمعٍ من أهل الكتاتيب، وذلك في كلمة {لآ إله إلا الله} خاصة، فإنَّ هذا خروجٌ عن الطريق، وإن قُرئ به لقالون من طريق الطيبة؛ فإنما يجوز مع الغنة في اللام والراء -بإدغام النون والتنوين فيهما إدغاما ناقصا- وفتح التوراة(٢).

٤- إسكانُ ميم الجمع مع قصر المنفصل وفتح التوراة: فإنّ اجتماع ذلك ممتنع لدى طائفةٍ من أهل التحقيق، وهو الوجه الذي تعتمده الكتاتيب، قال الشيخ حسن بن خلف الحسيني:

إذا جـامعَ التـوراةَ مـيمٌ ومُنفصـلْ مع الفتح والإسكان للقصـر أبطلا

قال الشارح -الشيخ علي محمد الضبّاع-: «وأما الفتح مع القصر، والسكون مع المد والصلة، والتقليل مع القصر والصلة، فممتنعة»(٣).

وقد صحح الوجوه الثمانيةَ -ومنها الوجه المعمول به في الكتاتيب- جمعٌ من أهل العلم، اعتماداً على إطلاق الإمام الشاطبي رحمه الله(٤).

---

(١) البدور الزاهرة، للقاضي، (٢ / ٩٩٦).

(٢) يُنظر: شرح تنقيح فتح الكريم، للزيات، (٥٤ - ٥٥)، وبه أخذ الشيخ محمد أبو سنينة في ختمته المسجّلة، وعلى هذا جلُّ تلامذة الشيخ مختار حوريَّة رحمه الله.

(٣) مختصر بلوغ الأمنية، للضباع، (٤١).

(٤) يُنظر: غيث النفع، للصفاقسي، (٧٠).

هـ- ما أُحْدِثَ في القراءة:

القراءةُ نقلٌ يتحمَّلُه الآخِرُ عن الأول، لا يحلُّ إحداثُ شيءٍ فيها، قال الإمام الشعبي: «القراءة سُنة، فاقرؤوا كما قرأ أولُكم»(١)، وروَى قالونُ عن زيد بن ثابت ﷺ: «القراءة سُنَّة، قال ابنُ خرزاد: فقلت لقالون: ما هذا؟ قال: يأخذها الآخِرُ عن الأول»(٢)، وإنَّ من محُدَثَاتِ كتاتيبِ المدينة:

١- قول بعضهم لدى الاستدلال أو إلقاء السؤال: «قال تعالى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم...»؛ فإنَّ الإجماع منعقدٌ على كونِ الاستعاذةِ دُعاءً(٣)، وليست آيةً من القرآن الكريم، لذلك خلت من المصاحفِ العثمانيةِ وغيرِها، فينبغي أن لا يُقال عندها: قال تعالى.

٢- قولُ بعضهم عند أول سورة التوبة: «استفتحتُ بالله وهو خير الفاتحين»؛ عِوَضاً عن البسملة، ولم أقف على أصلٍ لهذا الإحداثِ يُثبتُه أو ينفيه، والأمرُ كما قال الإمام نافع ﷺ: «نسمعُ في القرآن، ولا نستعمل فيه بالرأي، ثم تلا: {قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرءان لا يأتون بمثله}»(٤).

٣- إنهاؤهم القراءةَ بقولهم: «صدق الله العظيم»، بل جعلها بعضُ المشايخِ -في عقود مضت- محِنةً في الحلقات والمسابقات، يُلزَمُ بها القارئُ ليُعلَمَ منهجُه.

---

(١) السبعة، لابن مجاهد، (٥١).

(٢) شرح الخاقانية، للداني، (٢٤).

(٣) يُنظر: غيث النفع، للصفاقسي، (١٨).

(٤) شرح الخاقانية، للداني، (٣٩).

ومعلومٌ أنهُ ليس لهذه الكلمةِ -بهذا الاستعمال- أصلٌ في الكتاب، ولا في السنة، ولا في كتب الفقه، ولا القراءات، وقد خلت منها المصاحف العثمانيةُ، وإنما هو الاستحسانُ والتكلُّف في تأوُّلِ قوله تعالى: {قل صدق الله}[1]، ولم يكن على هذا التأويلِ أحدٌ من الصحابة، ولا التابعين، ولا الأئمة الأربعة المتبوعين[2]، وإنما المأثور (حسْبُك) أي: يكفيك، بهذا صح الخبر، حتى إن الإمامَ الدانيَّ لم يرضَ عِوَضاً عن هذه اللفظة بما يُقاربُها لفظاً ومعنىً، وهي «بس»، فكيف بـ«صدق الله العظيم» التي هي بحجم آية وأسلوبها، تُلتَزَمُ وتُتلى كما يُتلى القرآن، حتى ظُنَّ أنها منه، قال الإمام الداني: «إن الأستاذ يلزمه إذا أراد القطع أن يقول: «حسْبك» أو «حسْبُنا» كما قال ﷺ لعبد الله، ولا يجوز له أن يستعمل عند ذلك ما يستعمله غيرُ واحد من جهَلةِ المقرئين، من قولهم عند القطع على القارئ: «بس»، و«بسّك»، وشبه ذلك»[3].

٤- تواطأتِ المصاحفُ والكتاتيبُ على اختتامِ القرآن الكريم بدعاءٍ مخصوصٍ، يُسمَّى دعاءَ ختم القرآن، جعلوه من توابعِ التلاوة، كالبسملة، وكالاستعاذة، وكالتكبير لمن مذهبه التكبير، يُرتَّلُ كالقُرآن، وتُختتم به المصاحفُ، وليالي رمضان حيثُ صلاةُ القيام، وقد أحسنت هيئةُ الأوقافِ بإهماله من مُصحفِها؛ إذ هو عملٌ بِدْعِيٌ لا أصل له عن النبي ﷺ، ولا

(١) سورة آل عمران، (٩٤).

(٢) يُنظر: بدع القراء، لبكر أبو زيد، (٢٢ / ٢٣).

(٣) شرح الخاقانية، للداني، (١ / ١٧٨ – ١٧٩)، تحقيق غازي العمري، نقلاً عن معالم القراءة والإقراء، لكامل العنزي، مجلة الدراسات الإسلامية، ص (١٥٨٩)، لتعذر حصولي على الكتاب ورقياً أو إلكترونيا.

الصحابةِ، ولا التابعين، وقد منعه إمامُنا مالكٌ رحمه الله، حتى قال: «ما سمعتُ أنه يدعو عند ختم القرآن، وما هو من عمل الناس»[1].

(١) يُنظر: المعيار المعرب، للونشريسي، (١١ / ١١٤)، المدخل، لابن الحاج، (٢ / ٢٩٩).

المطلب الثاني: اصطلاح الوقف والآي

لم يكن للكتاتيبِ الليبيةِ اعتناءٌ بعلمِ الآيِ وعَدِّه إلا ما ندر، لذلك خلَتْ ربعاتُهم وألواحُهم منه، وإنما كان العملُ في الوقف -قبل طباعة المصاحفِ ودخول الوقف الهبطي- على اعتبارين:

الاعتبارُ الأول: مراعاةُ محاسن الوقف والابتداء من حيثُ المعنى، بقطع النظر عن كونه رأسَ آية أو لا، أي الاعتماد على تمام الوقف أو كفايته، بحسب المعنى المتبادر، وكان التلميذُ يُلقَّنُ هذا الأمرَ بما يُناسِبُ ثقافتَه ومستوى تحصيله من علوم الشريعة، وأذكر أن الشيخ صالح سالم كشيدان ﷺ كان يُقرِّبُ لنا معنى الوقف القبيح الناتج عن فصل الخبر عن المبتدإ، أو الفعل عن الفاعل، ونحو ذلك، ببعض الأمثلة الواقعية، ومن تلك الأمثلة: أن رئيس جهاز الشرطة الزراعية بالمدينة -في سبعينياتِ أو ثمانينيات القرن الماضي- قد دعا إلى اجتماعٍ بخصوص الحُمُرِ الأهليِّةِ السائبة، وكانت قطيعاً منبوذاً يطوف في وديانِ وشعاب المدينة، يُفسدُ الزروع والحصاد، فافتتح الرجل كلامه بقوله: «احْنا الحمير» «نبوا انديرولهن حل»!! فكان الناسُ يضحكون من وقفه على الحمير، الذي صيرَ به نفسَه ومن معه كذلك؛ حيثُ جعل الحميرَ خبراً مُفرداً، بعد أن كان مبتَدَأً في خَبرٍ جملة، فكُنَّا بمثلِ هذا نُدرك أسرارَ قُبح بعض الوقوف.

وقد ورد النص عن الإمام نافع ﷺ بتحرِّيه المعنى في الوقف والابتداء[1]، وكذلك رُوي عنه الاعتمادُ على العدِّ المدني، وقد أُخِذَ لقالونَ في مصحف الجماهيرية ومصحف الأوقاف الليبية بالعدِّ المدنيِّ الأول، بينما أُخِذَ له بالعدِّ الثاني

(١) يُنظر: الزيادة والإحسان، لابن عقيلة، (٣/ ٤٣٢).

في مصحف الشيخ صالح دخيل، وفي مصحف الجماهيرية وقعت لجنةُ المصحف في خطإٍ يتعلق بالآي، ألا وهو احتسابُ قوله {فأما من طغى} بالنازعاتِ آيةً، وليس هذا من العد المدنيِّ، لا الأول ولا الأخير، ثم تلُوفِيَ هذا الخطأ في طبعات المصحف المتأخرة.

الاعتبارُ الثاني: اعتمادُ رؤوسِ الآيِ، لا عن معرفةٍ بمواضعها، بل مراعاةً للسجع الذي يُومئُ إلى استحسان الوقف على هذا الموضع أو ذاك، كالوقف على ألف العوض في سورة الإسراء، والكهف، وعلى الألف المقصورة في طه، والنجم، وعلى التاء المقيّدة في الهُمَزة، والحاقة، وعلى النون في الرحمن، والباء في المسد، والسين في الناس، وهكذا، فإن خالفَ اعتبارُ السجعِ اعتبارَ المعنى – وغالباً لا يُدرَك عندهم من المعاني إلا القريب – قُدِّمَ المعنى، كترك الوقف على قوله: {فويل للمصلين}[1]، فإنهم لمْ يروا تفريقا بين الوقف والقطع، ونحو ذلك الوقف على قوله: {فإنكم وما تعبدون}[2]، وقوله: {كلا لئن لم ينته}[3]، بل عدّوا ذلك مطعناً في التلاوة، وركاكةً في أداء المعنى، وكان بعضُ مشايخِنا – عفا الله عنه وغفر له – يخُبرُنا بأن الوقف على {فويل للمصلين} هو مذهبُ الزنادقة، وكثيراً ما يُنشدُنا –استدلالا على المنع– الأبياتَ المنسوبةَ إلى أبي نُواس:

دع المساجدَ للعُبَّادِ تسكُنُها ... وقِفْ على دَكَّةِ الخمَّارِ واسقينَا

ما قال ربُّك ويلٌ للأُولَى سكروا ... وإنما قال ويلٌ للمصلينَا

(١) سورة الماعون، (٤).

(٢) سورة الصافات، (١٦١).

(٣) سورة العلق، (١٥).

دخول الوقف الهبطي واعتماده:

وكان المغربُ العربيُّ -خلا ليبيا- يعتمدُ في ذلك على وقف الإمام أبي عبد الله بن أبي جمعة الهبطي (ت ٩٣٠ هـ)، ولم يزالوا عليه مُذ أَلَّف لهم كتابه الموسوم بـ(تقييدُ وقف القرآن)[١] أي: منذ القرن العاشر للهجرة.

ثم إنه نزل بمدينة مسلاته أواخر القرن الثامن عشر للميلاد رجلٌ من المغرب، هو الشيخ مراكش، فأقام بالمدينة زمنا، فيه تلقَّى الوقفَ الهبطيَّ عنه جمعٌ من المشايخ، منهم الشيخُ الفقيه بن على الأربد، وأخذه عنه الشيخ مفتاح بن الأربيع، وعنه الشيخ عبد السلام القاضي، وبه أقرأ الشيخُ عبد السلام القاضي - بجامع المجابرة - تلامذتَه، كالشيخ المبروك العماري، والشيخ سليمان الرويّص[٢]، والشيخ إبراهيم الزنيقري، وغيرُهم، ولا يزال هذا الوقفُ يفشو في تلاميذ جامع المجابرة بـ(القصبات) جيلاً بعد جيل، حتى فاق المجابريون غيرَهم من الأقران الذي يجهلونه في الأهلية والمرتبة، ثم شاع في غيره من كتاتيب المدينة.

وعُدَّتِ المعرفةُ بالوقف الهبطي من أبرز مؤهِّلاتِ التلميذ للمشيخة، ولرئاسةِ الحزب (القراءة الجماعية)، كما جُعِل الحزبُ وسيلةً لتعاهدِه، وميداناً للتباري فيه، ثُمَّ تُعُصِّبَ له، فحُكِّم به في المسابقات، ولمْ يزل يُوالَى عليه ويُعادَى، حتى سُخِرَ ممن يُخْطئُ في شيء منه، فيُنسبُ الوقفُ الخطأ للواقف، فيُقال مثلا:

(١) يُنظر: عناية الأمة بالقرآن الكريم، للعمر (٣٦).

(٢) يُنظر: مسلاته في العهد العثماني الثاني، لغيث، (١٥٢)، ومقال الشيخُ منصور السنوسي، للدوكالي نصر، (٣٩ - ٤٠)، ورواية شفوية عن الشيخ عبد الله كشيدان، منتصف شهر رمضان ٢٠٢١م.

الوقف المسعودي؛ إذا كان اسمُ المخطئِ في الوقف مسعودا، والوقف الطاهري؛ إذا كان اسمُه طاهرا.

ثم إنه تُنودِيَ خلالَ العقودِ الأربعةِ الأخيرةِ ببدعيَّةِ هذا الوقف، ووجوبِ تركِه، والصيرورةِ إلى مراعاةِ الآي، وعُلِّل ذلك بعللٍ، منها القويُّ، ومنها الضعيف، فمن ذلك: أنه إلزامٌ بما لم تُلزِمِ الشريعةُ به الناس، ولاحتوائه على مخالفاتٍ عقدية، وتكلُّفٍ في استجلابِ معانٍ بعيدة ...، وقد لاقى هذا العرضُ قَبولا عند طائفةٍ عظيمةٍ من الطلبة، أسهم في تراجع العناية به، والاستعاضةِ عنه بآيِ المصحف، فقوبلَ هذا الموقفُ الخشِنُ مِن الوقفِ الهبطي بمعارضةٍ شديدةٍ، ومواقفَ صارمةٍ، مِن قِبَلِ المتمسّكين بالتُّراث، وما ترك عليه الأجدادُ الأحفاد، بلغ حدَّ التباغُضِ والتدابُر، وبدوره أدَّى ذلك إلى بُروزِ رسائلَ وكتبٍ تتناول هذا الوقف بالدراسة، انتصاراً، ونقداً، وتوجيها، فمن ذلك: كتابُ «الوقف الممنوع على رؤوس بعض الآيات عند الإمام الهبطي وأسبابه» للشيخ فرج علي الفقيه المسلاتي، ورسالةٌ مخطوطة للشيخ عبد الحكيم بن دلة المسلاتي.

وتحقيقُ القولِ في وقف الهبطي، أنه وقفٌ جائزٌ وحسَنٌ في مجموعه، وفيه الخطأ والمرجوح، وهو خليطٌ بين ما هو اجتهادٌ للهبطي، وبين ما هو اختيار منه لوقوفٍ مُسندةٍ إلى أئمة القراءة، واللغة، والتفسير، ثم التزامُه حسَنٌ بالنسبةِ إلى الجاهل بعِلمِ الوقف، والآي، واللغة، والتفسير؛ لأنه أَمَنَةٌ من الخلطِ واستجلاب المعاني القبيحة، وإن تحاشى الملتزمُ ما هو خطأٌ أو مرجوحٌ من وقف الهبطي؛ فقد تمَّ له الإتقان، وخرج من الإشكال.

وعلى شدة اعتداد كتاتيب القصبات -مركز مدينة مسلاته- بالوقف الهبطي؛ لم يحُلْ ذلك دون نقْدِه، وتركهم إياه في المقامات التي تقتضي ذلك، كصلاة التراويح؛ طلباً للسرعة، بل وقع منهم التركُ المُتعمَّدُ لبعض هذه الوقوف، والعكسُ في مواضع أخرى؛ تصويبا، فمن ذلك أنَّ الشيخ إبراهيمْ الزنيقري رحمه الله لا يعتدُّ بالوقف على {من قبلك} في قوله: {لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلوة}[1]، وأخبرني أن عددا من الأشياخ لا يرتضونه.

وعلى خلافِ هذا، كان عامَّةُ أهلِ الكتاتيبِ يُلحقون سورةَ محمدٍ ﷺ بالأربع الزُّهر -القيامة، والمطففين، والبلد، والهمزة- في الوقف على بسملتها.

ويُتلقَّى الوقفُ عن الشيخِ أثناءَ تصحيحِ اللوحِ عليه، بوضع الشيخ رأسَ حرفِ الصادِ على الكلمة الموقوف عليها، وهي أولُ حرفٍ من اسمِ فعلِ الأمرِ (صه)، أي: اسكت، وإن كان الطالبُ يُباشرُ بقلمه تصحيح لوحه على الشيخ، أو كان ذلك لدى التعاهُد؛ أشار الشيخُ بيده إلى موضع الوقف، ورُبَّما كان له في الوقف على المقلْقَل تصرُّفٌ.

ضروب الخلل في الوقف والابتداء:

ولاعتمادِ كتاتيبِ مسلاته على الوقف الهبطي والتزامِهم إياه؛ ندر خطؤُهم في الوقف الاختياري؛ إذْ لا اختيار لهم في الحقيقة، وإنما هم تابعون لما عليه الإمام الهبطي، إن صواباً وإن خطأً، ثم هم في الوقف الاضطراريِّ بعُذْرِهم، ولقلةِ

(١) سورة النساء، (162).

اشتغالهم بجمع القراءاتِ واستيعاب وجوه الروايةِ؛ أهملوا الوقف الانتظاري، فانحصر عامةُ الخلل لديهم في صحةِ الابتداء، وفي الوقف الاختباري:

أولا: الخلل الواقعُ في الابتداء، ولا يكون أبداً إثرَ وقفٍ هبطي، وهو في الجملة على ضربين: ضَربٌ يتعلَّقُ بالمعنى، وآخَرُ يتعلق بالأداء.

فأما ما يتعلق بالمعنى: فهو تركُ المبالاةِ بأيِّ شيءٍ ابتدأَ به القارئُ عَقِبَ وقفِ الاضطرار، ما دام أنه ملتزمٌ في الاختيار بالوقف الهبطي، وبرؤوسِ الأثمانِ والأحزاب، فمن ذلك مثلا: أن يقرأَ القارئُ {يخُرجون الرسولَ وإياكم}، فيقف على {إياكم} اضطرارا، ثم يبتدئُ {وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم}، فتصير الواوُ استئنافيةً بعد أن كانت عاطفة، ويصير الضمير المنفصل {إياكم} في محل نصب مفعول به، منصوب على التحذير، لفعل محذوف تقديره: أُحذركم الإيمان بربكم، بعد أن كان الضميرُ المنفصلُ في محل نصب، معطوف على الرسول.

ومنه أيضاً ابتداؤهم القراءةَ في الصلاةِ وخارجِها بنحو قوله تعالى: {هيهات هيهات لما توعدون إن هي إلا حياتُنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين} بالمؤمنون، كونَه رأسَ ثمن، لكنه كلامٌ متعلِّقٌ بما قبلَه معنىً، وهو من مَقُول الكفار.

وأما ما يتعلقُ بالأداءِ: فنحوُ الخلل في كيفيةِ الابتداء بقوله: {الاؤلى وثمودا فما أبقى} بالنجم، والابتداء بقوله: {الاسم الفسوق بعد الإيمان} بالحجرات، والابتداء بنحو: {اؤتمن / ائذن لي}... ونحو ذلك، فإن صحَّ ابتداءُ بعضِهم بشيء من هذا؛ فإنه في الغالب خَرْصٌ ومحضُ اتِّفاق.

ثانيا: الخلل في الوقف الاختباري: ويُقصَدُ به الخطأ الواقع لدى الوقف على مرسوم الخطِّ امتحانا، أو وصلِ ما اعتِيدَ الوقفُ عليه، أو الأمرُ بالوقف على متغيِّرٍ

بسبب الوصل، فإن جمهورَهم تضيقُ عليه الأرضُ بما رحُبت إذا قيل له: قف على {سنفرغ لكم أيُّه}بالرحمن، أو على: {ليُسجنَّ وليكوناً} بيوسف، أو على يحي من: {يحُيي ويميت / يحي الأرض} حيث أتى ذلك، أو على: {ويحيى من حيِيَ} بالأنفال، أو قلت له: قف على قوله: {لأمارة بالسوِّ} بيوسف، أو امتحنته بوصل نحو: {وقلوبهم شتَّى ذلك بأنهم} بالحشر، أو وصل: {ما هيه نار حامية} بالقارعة، أو قلت له صل هذه الثلاث في الأحزاب بما بعدها: {الرسولا / السبيلا/ الظنونا}.

المبحث الخامس
الاصطلاح الشكلي

الشكلياتُ: هي المحيط الخارجي للعملية التعليمية، وهي كثيرة، منها: تجزئة القرآن، وأسماء سوره.

المطلب الأول: اصطلاح تجزئةِ القرآن الكريم

يُجَزَّأُ القرآنُ الكريمُ على أجزاءٍ بعِدَّةِ اعتبارات، كالمكيِّ والمدنيِّ، والمُـحْكَمِ والمتشابهِ، والناسخِ والمنسوخِ، ونحو ذلك، وإنَّ مما يُؤسَفُ عليه أن الكتاتيبَ لَمْ تحفلْ بمثل هذه الاعتبارات المهمة، لكنها حفلت بما هو دونها في الأهمية، كأقسامه باعتبارِ كَمِّه، سواءٌ باعتبارِ أحرُفِه، أو باعتبار حفظه وتعاهُدِه، أو باعتبار الصلاةِ به.

أولا: تجزئةُ القرآنِ باعتبار حروفه:

وقع اختلافٌ بين أهلِ العلمِ في الكلمة التي هي برزخٌ بين أجزاءٍ معينةٍ من القرآن الكريم، وهذا الاختلافُ -لا ريب- راجعٌ إلى اعتباراتٍ مُعيَّنةٍ، على رأسِها الروايةُ المستقرأةُ، وهو -أي: عددُ حروفِ القرآن- من مباحث علومِ القرآن.

والذي عليه أهل الكتاتيبِ أنَّ نصف القرآن الكريمِ كلمةُ {وليتلطَّف} بسورة الكهف، عند قوله تعالى: {فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا}[1]،

(١) سورة الكهف، (١٩).

ويرمزون لها بثلاث دارات مغلقة، واصطلاحُ الكتاتيبِ هذا موافقٌ لما عليه أكثرُ العلماء، وهو إجماعُ مَن ندَبهم الحَجَّاجُ لإحصاءِ ذلك[١]، وفي المسألة أقوالٌ أخرى، قيل: قوله نُكرا، وقيل: آخر السورة، وقيلُ غير ذلك[٢].

وأهلُ الكتاتيبِ على أن نصف سورة البقرةِ – لطولها – كلمةُ {ينعق} عند قوله: {كمثل الذي ينعق بما لا يسمع}[٣]، ويُرمَزُ لها كذلك بثلاث داراتٍ مُغلقة.

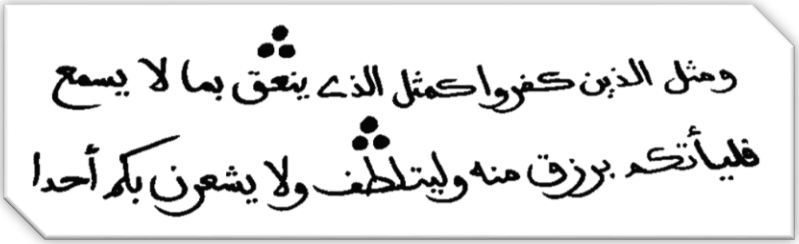

ثم العملُ في تجزئةِ الربعاتِ، وفي صلاةِ التراويح بنصف القرآن أو ربعه، وفي تحديد جوانب المسابقاتِ... على أنَّ منتهى النصفِ الأولِ آخِرُ سورة الإسراء، والنصف الآخرُ من أول الكهف إلى سورة الناس، وكذلك منتهى الرُّبُعِ الثاني ومطلعُ الثالث أولُ سورة الكهف، ومنتهى الربُعِ الثالثِ آخِرُ سورة فاطر، ومطلعُ الرابعِ أولُ سورة يس، فإذا أعلِن –مثلا– عن مُسابقةٍ في جانبي النصف والربع الأخيرين، ثم تناول المتسابق قُصاصةً حوت سؤالا لصاحب النصف الأخير يقول: اقرأ من قوله تعالى: {فلا تمُار فيهم إلا مراء ظاهرا} بالكهف، أو قالت القُصاصةُ لصاحب الربع الأخير: اقرأ من أول سورة يس؛ لم يكن لهما أن يتمسكا بأنَّ

(١) يُنظر: جمال القراء، للسخاوي، (١ / ٣٨٦).

(٢) المصدر نفسه، (١ / ٣٨٨ – ٣٨٩).

(٣) سورة البقرة، (١٧١).

السؤالين خارجان عن القَدرِ المحدد للتسابُقِ فيه؛ لأن العرف الكتاتيبي يقضي بذلك، غيرَ أن هذه التجزئةَ العرفيةَ غيرُ معتمَدةٍ في الدلالةِ على مواطنِ الرسمِ، وكذلك مواطن المتشابهِ، فإذا قيل مثلا: إن «الرياح» مُثْبَتةُ الألفِ في النصفِ الآخِرِ من القرآن، فلا يتناول هذا ألِفَ {هشيما تذروه الرياح} بالكهف، باعتبار أنها أتت بعد قوله {وليتلطف}، بل هي محذوفةُ الألفِ؛ لأنها واقعةٌ قبل التجزئةِ المعتمدة {جئت شيئا نكرا}، ونحو ذلك.

وقد كان للكتاتيب المسلاتية تجزئةٌ تُغايِرُ تجزئةَ المصحف في بعضِ المواضع، وظل هذا الاصطلاحُ معمولا به حتى مطلع ثمانينيات القرن الماضي، فلمَّا صدر مصحفُ الجماهيرية تركت الكتاتيبُ تجزئتَها إلى تجزئتِه على مضض، وكان من الأثمان المعتمدة في الكتاتيب، ثمن {ما قطعتم من لينة} بالحشر، وثمن {فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت} بالقلم[1]، وأولُ سورةِ البينةِ ثمنٌ، وأولُ الهمزةِ ثمنٌ كذلك.

ومُعتمدُ الكتاتيب اليومَ في تجزئةِ القرآنِ الكريم ما عليه المصحف، وهو ما نُقِلَ عن الحجّاج بن يوسف الثقفي وغيره، فالقرآنُ كله ثمانونَ وأربعمائةٌ (٤٨٠)، يتكون من كلِّ ثمانية منها حزبٌ، فهي ستون (٦٠) حِزباً، والحزبان جُزءٌ، فهي ثلاثون (٣٠) جزءا، وثلاثةُ الأحزابِ نَقْزةٌ، فهي عشرون (٢٠) نقزة، ويتألفُ من خمسةَ عشرَ حزباً أو خمسِ نقْزاتٍ رُبُعُ القرآن، ومن عشرينَ حزباً أو عشرةِ أجزاءَ ثلثُ القرآن، ومن ثلاثين حزباً أو خمسةَ عشرَ جزءاً أو عَشرِ نقزاتٍ نِصفُ القرآن الكريم.

(١) مجلس مع الشيخ عبد الباسط الفرجاني، فندق كورينثيا، ٣ / ١ / 2023م.

وتجزئةُ النقزةِ اصطلاحٌ خاصٌ بالكتاتيب، ليس يُعتمدُ في المصاحف، وخلافُ ذلك ربُعُ الحزب ونصفُه، فإنه اصطلاحٌ غيرُ مأخوذٍ به في الكتاتيب، وهو مُعتمَدٌ في المصاحف، ثم إنه يجُمَع –في عمل الكتاتيب– بين عددٍ من التجزئات في موضع واحد، كما عند قوله تعالى: {فنبذناه بالعراء وهو سقيم} بالصافات، فإنه ثمن، وحزب، ونقزة، ورُبُع القرآن، ثم إن التجزئة تكون أثناء النص القرآني، لا في حاشية الربعة أو اللوح.

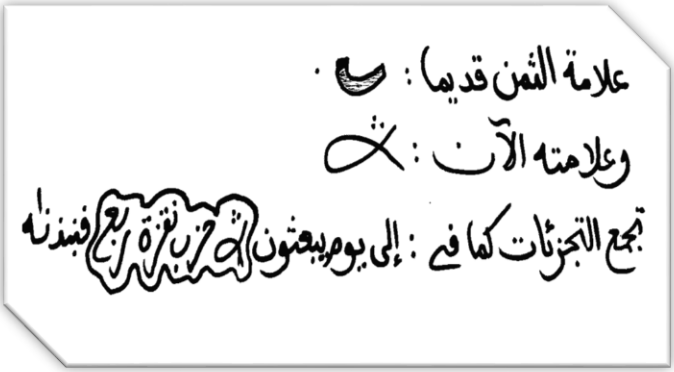

وفي اصطلاح المصحف أولُ الربُعِ الأولِ سورةُ الفاتحة، وأولُ الثاني مطلعُ سورة الأعراف، وأولُ الثالث قوله: {قال ألم أقل لك} بالكهف، وأول الرابع قوله: {فنبذناه بالعراء} بالصافات، والربعان الأولان نصفٌ، والآخران النصفُ الآخَر، يُستثنى من ذلك المصحف المجزأُ على أربع، فإنه يوافق الكتاتيب في جعْل أول سورة الكهف مطلعَ الربع الثالث، وأولِ يس مطلعَ الربع الأخير.

والفاتحةُ أولُ الثلث الأول، وأولُ الثلث الثاني قوله: {إنما السبيل} بالتوبة، وأول الثالث قوله: {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا} بالعنكبوت.

تتمة:

الوقفُ على هذه الأجزاء جميعها –أثماناً وأحزاباً– وقفٌ حسنٌ؛ لأنه من الوقف على رؤوس الآي، ثم هو من حيثُ تعلقُه بما بعده معنىً تامٌّ أو كافٍ، وليس في شيء منها وقفٌ قبيحٌ، وإنما القُبح في الابتداء بما بعدها استقلالاً، وذلك إذا وُقِف على أجزاءٍ معينةٌ بنية الإعراضِ عن القراءة، كابتدائهم القراءة في الصلاة أو غيرها بقوله تعالى: {واذكروا الله في أيام معدودات} بالبقرة، وهو رأسُ حزب، وفي الأحزاب يقول: {اذكروا الله ذكراً كثيراً}، وإذنْ؟ الكلامُ في البقرة عن الحج، فلماذا تُجتزأُ هذه الآيةُ من سياق الحج، وتصدَّرُ في الثمن الذي يليها، ولو جُعِل رأسُ الثمن بعدها بقليل، حيث قولُه: {ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا}؛ لكان أصوب.

كذلك البدءُ بحزب النساء {والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم} ما لهن؟ هُنَّ أيضا من المحرمات، ورفعُها عطفٌ على ما قبلها –وهو المصدر المؤول من {وأن تجمعوا بين الأختين}– حتى يُبلغَ بالعطفِ نائب الفاعل –الأمهات– في قوله تعالى: {حُرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم}.

ومثل ذلك أيضا البدءُ بقوله: {هيهات هيهات لما توعدون إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين} بالمؤمنون، وقوله: {أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير} بالشورى، وما أشبه رؤوس هذه الأثمان، ما أحرى الكتاتيب ولجان المصاحف أن تُعيد النظر في اعتبارها أجزاءً، فإن المحافظة على سلامة معاني الكتاب الكريم، أولى من المحافظة على تجزئةِ الحجاج بن يوسفَ أو غيره.

ثانيا: أجزاؤه باعتبار الحفظ والتعاهد:

استقرَّ أمرُ الكتاتيبِ على أن المبتدِئَ من الطُلابِ لا يُزادُ على سطرٍ، أو سطرين، أو ما قارب، وهذا ما يقتضيه التدرُّجُ في الأخذ.

وللمتوسِّطِ من الطُلابِ «خرُّوبة»: وهي شطرُ الثُمُنِ أو ما يُقاربُه، وتُطلقُ في الغالبِ على آخِرِ السورةِ، وكذلك على أولِ لاحقتِها، حيثُ اشتركتا في ثُمُنٍ اكتنفته البسملة.

وأما المتقدِّمُ صاحِبُ الشُّقَّةِ -القلمِ الأولِ- فيُعطَى ثُمُناً واحداً كلَّ يومٍ، لا يُجاوِزُه إلى غيره، وإن كان هذا المتقدِّمُ صاحبَ أُخْتِ الشُّقَّةِ -القلمِ الثاني- أو زادَ أقلاماً؛ فيكتُبُ ثُمُنَينِ من حِفظِه كل يوم، ويُشَدَّدُ عليه في الحفظ، والتجويد، والرسم، والضبط، والمتشابه، ما لا يُشَدَّدُ على غيره.

وأما مُتعاهِدُ المحاياتِ فيُواظِبُ على نقزة: ثلاثة أحزابٍ، ومتعاهِدُ غيرِها على شيخه يحدِّدُ قدْرَ مَتلُوِّه كَمُّ الطُلابِ، وقُدراتُهم.

وأمَّا تلاوةُ القرآنِ من الـمُصحف أو غيباً، تعاهُداً، أو تعبُّداً، أو لصلاةِ الليل، فالتسبيعُ هو المُختارُ، أي: ختْمُه في سبع، ضابطُها: «فمي بشوق»، وهو مرويٌّ عن عثمان بن عفان ﷺ، أي: الفاتحة / المائدة / يونس / بني إسرائيل (الإسراء) / الشعراء / والصافات / ق / الناس.

وختمُ القرآنِ في سبعٍ هو وصيةُ الناصحين وعملُ المداومين، وفيه عن ابنِ عمرَ ﷺ أن النبي ﷺ قال له: «**اقْرَأ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي عِشْرِينَ لَيْلَةً، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ، وَلا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ**»(١).

(١) صحيح البخاري، باب في كم يقرأ القرآن، (٥٠٥٤).

ثالثا: تقاسيمُ الولائم والجعالة:

وهي مراحلُ قُرآنيةٌ جرى العرف على أنها مَدْعاةٌ للاحتفال والسرور بمستوى الطالب، فيُولِمُ أهلُه للشيخ، ويجعلون له جُعلاً، وإن كانوا ذَوِي يَسارٍ أولموا للكُتَّابِ كُلِّه، وهذه المراحلُ تختلفُ باختلافِ الأقطارِ، وهي في كتاتيب مسلاته: البينة، ثم الأعلى، ثم النبأ، ثم الجن، ثم الملك، ثم يس، ثم الكهف، ثم الأعراف، فإذا بلغ أواخرَ آل عمران ذُكِّرَ من قِبَل زملائه بالوليمةِ العُظمى من خلالِ ترانيمَ وأهازيجَ في محطاتٍ معينة، كـ «سارعوا»، و«يستبشرون»، و«لتُبلوُنَّ»، و«فاستجاب»... الخ، فلكل رأسِ ثُمُنٍ منها أهزوجةٌ مصوغةٌ باللهجةِ العامِّيَّةِ، تحُثُّ الطالبَ على إعدادِ خروفٍ بأوصافٍ معينة[1]، منها:

ســـــــــــــارعوا *** وتِّي الكبش الدارعُ

يستبـــــــــــشرونَ *** وتِّي الاشقر بقرونه

فاستـــــــــــــجابَ *** وتِّي الزرده يا بابا

ويُسمَّى هذا التقسيمُ عند الأندلسيين وسائر المغاربة «الحِذْقَة»، ولهم فيها اصطلاحاتٌ مُتغايِرة، فمنهم من يعتبر سورة الفاتحة، ومنهم من يعتبر سورة الفتح...[2].

وعندَ الختم -ختم القرآن الكريم- يجمعُ الطالبُ خاصتَه ويُولِمُ لهم، في بيته، أو في الخَلوة، يحضر ذلك المشايخُ، والزملاء، والأقارب، وقيل إن لهذه العادةِ أصلًا عن السلف، فقد كان أنسٌ ﷺ يجمع أهلَه وولده حتى في

(١) يُنظر: مسلاته في العهد العثماني الثاني، لغيث العربي، (١٦٠)

(٢) يُنظر: جامع جوامع الاختصار، للمغراوي، (١٧ - ١٩).

ختمِ التلاوةِ[1]، ونقل الذهبي عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر قال: «تعلَّمَ عمرُ البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزورا»[2].

رابعا: أجزاء القرآن باعتبار الصلاةِ به:

دأَبَ أهلُ الكتاتيبِ إذا قُدِّموا للصلاةِ أن يقرؤوا في المغربِ بقصارِ السُّور: سورةً كاملةً في الأولى، وأخرى في الثانية، وأن يقرؤوا في العشاءِ بـــخرُّوبةٍ في الأولى، وأخرى في الثانية، وأن يقرؤوا في الصُّبحِ بثُمُنٍ أو ما يُقاربُه، وبمثله في الآخرة.

وأمَّا التراويحُ فكانت فيما مضى تُصلَّى ثلاثَ عشرةَ ركعة: خمسَ تسليماتٍ، والشفع، والوتر، وكانت تـختَمُ الصلاةُ ليلةَ سبْعٍ وعشرين، فيُقَسَّمُ الشهرُ إلى ثلاثة: ثمان عشرةَ ليلةً يُتلى في كلِّ ليلةٍ منها حزبانِ ونصفٌ، تَلِيها سبعُ ليالٍ يُتلى في كل ليلةٍ منها حزبان فقط، ويُتلى حزبٌ واحدٌ في اليوم الأخير.

ثم صُلِّيَتِ التراويحُ أربعَ تسليماتٍ، واقتصرت كثيرٌ من المساجد في التلاوةِ على نصف القرآن، ثم صِيرَ إلى الربُع في كثيرٍ من المساجد، ولا يزال القدرُ المقروءُ ينقص، حتى قُرِئَ بالجُزءِ والجزأين، ودون ذلك، وكان هذا غالباً على المدنِ قليلةِ الحَفَظَةِ، لكن منذُ نحو عقدٍ ونيِّفٍ عُمل بهذا –قصر التراويح– حتى في مساجد المدن العريقة في القراءة والإقراء، وقد أعان على هذا مجيءُ شهر رمضان في الصيف، حيثُ قِصَرُ الليل، وشدةُ الحر، وانقطاعُ الكهرباء، ثم الوباء مؤخرا، وكذلك الالتهاءُ بالـملهِيات، من متابعة للبرامج والمسلسلات، واشتغالٍ

(١) يُنظر: جمال القراء، للسخاوي، (١ / ٣٧٩)، الآداب الشرعية، لابن مفلح، (٢ / ٢٨٢).

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٢ / ١٤٦).

بالتسوُّق والولائم الجماعية، وكان أيضاً لدنوِّ الهِمَّةِ والغفلةِ عن عظيمِ ثوابِ المشقةِ في العبادةِ عملُه.

ولتقسيم القرآنِ الكريمِ على سبعٍ وعشرينَ ليلةً في شهر رمضان أصلٌ في كتب الأوائل، يقول عَلَم الدين السخاوي: «ذِكرُ أجزاءِ سبعةٍ وعشرينَ لصلاة القيام ...» ثم أسند إلى أبي عمرو الداني بإسناده إلى أبي بكرٍ الأصبهاني قال: «هذه أجزاءُ سبعةٍ وعشرين على عدد الحروف ...» وعدَّها[1].

(١) يُنظر: جمال القراء، للسخاوي، (١ / ٤١٠).

المطلب الثاني: اصطلاح أسماء السُّوَر

وقع خلافٌ بين أهل العِلمِ في أسماء السُّور، توقيفيةٌ هي أم اجتهادية؟ أم بعضها اجتهادي والآخر توقيفي؟ ثم المشهورُ من أسماء السُّوَرِ ما اعتُمِدَ في المصاحف المختلفة، حيثُ كان لعددٍ من السُّورِ أكثرُ من اسم، كسورة الفاتحة التي بلغت أسماؤها أربعةَ عشرَ اسماً، وسورةِ الحشرِ المُسمَّاةِ بسورة بني النضير، وهكذا(١).

والكتاتيبُ في هذا على ما عليه المصاحفُ إلا ما استُثني، مما لهم فيه ضبطٌ أو لفظٌ يختلفُ، انفردَ الاسمُ أو تركَّب، وفيما يلي ذِكرُها:

أولا: الأسماء المُفردَةُ:

أ- سُورٌ سُمِّيَتْ بأسماء أوائلها، وأشهرها:

١- سورة براءة = التوبة.

٢- سورة تبارك = المُلك.

٣- سورة ن = القلم.

٤- سورة عمَّ = النبأ.

٥- سورةُ سَبِّح = الأعلى.

٦- سورة تبّت = المسد.

(١) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (١٨٩).

ب- سُورٌ اعتُمِد لها ضبطٌ مُعيَّنٌ:

١- سورة الـمُجادَلة، بفتح الدال، على المصدر أو اسم المفعول، وهو وِفاقُ ما اعتُمِدَ في مصحف الأوقاف الليبية، وفي مصحف الجماهيرية المجادِلة، بالكسر، على اسم الفاعل، وقد ذكر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور هذين الوجهين، واستظهر الكسر(١).

٢- سورة الممتحِنة، بكسر الحاء، صفةٌ للسورة، وقد ضُبِطت بفتح الحاء في مصحف الأوقاف الليبية، ومصحف الدار المثالية، بينما خلا الحاءُ في مصحف الجماهيرية من الضبط، والممتحَنة، بفتح الحاء، صفة للمرأةِ التي امتُحِنت، وهي سبيعة، ورجح الفتحَ ابنُ حجر(٢).

٣- سورةُ يُونُس، ينطقُها الكتاتيبيون (يونِس) بكسر النون لا ضمّها، وهي لغةٌ لبعضِ العرب، وبها قرأ نافعٌ في رواية ابن جمَّاز عنه(٣).

٤- سورةُ يوسُف، تُنطقُ في الكتاتيب (يوسِف) بكسر النون لا ضمها، لُغةٌ فيه، وهي قراءةُ طلحةَ بنِ مُصرِّفٍ، والجحدري(٤).

٥- سورةُ الأنبئاء، تنطقُ عند أهلِ الكتاتيب مُبدلةَ الهمز، (الأنبياء) بالياء، مخالفين بذلك حرفَ قراءةِ البلد -قالون عن نافع.

٦- سورةُ الزمَر، تُلفَظُ على لسان أهل الكتاتيب بضمِّ الميم، (الزمُر)، وهذا شائع

(١) يُنظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٨ / ٥).

(٢) يُنظر: جمال القراء، للسخاوي، (١ / ٢٠٠).

(٣) يُنظر: تُحفة الأقران، للرعيني، (١٧٧ – ١٧٨).

(٤) يُنظر: المصدر نفسه، (١٠٢).

في كتاتيب ليبيا كلها، بل وكتاتيب الدولة أكثر الدول العربية، ولم أقف على قائلٍ بالضمِّ من أهل العلم، ولا ذاكرٍ لخلافٍ في ذلك أصلا، لا من أهلِ التفسير، ولا القراءة، ولا العربية، ولا اصطلاح المصاحف، وما ادُّعِيَ من أنَّ مصحفَ الملك فؤاد على هذا فليس بصحيح، وقد وقفتُ على نسخةٍ منه، فكانت الترجمةُ بفتح الميم.

٧- سورةُ مريَم، تلفظُها الكتاتيبُ بكسر الياء (سورةُ مريِم)، وهي مفتوحة، ولم أقفْ على قائلٍ بكسرها.

٨- سورةُ الطلاق، كتاتيبُ القصبات تُغلِّظُ لامَها كفِعلِ ورش، هذا إذا ترجموا للسورة، فإن تلوا هذا اللفظ وما اشتُقَّ منه؛ رققوه، وكثيرٌ من القرى المجاورة للقصبات تُرقِّقُه أبدا، في ذكر اسم السورة، وفي التلاوة.

٩-سورةُ الزَّلْزَلة، بفتح الزايِ الأولى والثانية، ونزرٌ يسيرٌ من مبتدئي طُلاب الكتاتيب يضمُّ زايَها الأولى ويكسِرُ الثانية: (الزُّلزِلة)، وهو شائعٌ في كتاتيبِ مُدُنِ غربِ طرابلس.

جـ- سُورٌ لُقِّبَتْ بغير اللقب المشتهِر[1]:

١- سورةُ الأعوان / سورة البِكر = البقرة.

٢- سورة العقود = المائدة.

٣- سورة الصدِّيق = يوسف عليه السلام.

٤- سورة بني إسرائيل = الإسراء.

٥- سورة الكليم = طه.

(١) بعضُ هذه الألقاب لها أصلٌ في كتب أهل العلم، كالعقود، والقتال، والشريعة، والكليم، والامتحان، والمؤمن، وبني إسرائيل، والنساء القُصرى، يُنظر: جمال القراء، للسخاوي، (١ / ١٩٧ - ٢٠١).

٦- سورة البقرة الصغرى = لقمان.

٧- سورة التنزيل = الزمر.

٨- سورة المؤمن = غافر.

٩- سورة الشريعة = الجاثية.

١٠- سورة القتال = محمد ﷺ، وبالقتال سُميت في ربعة الشيخ محمد زهير أبو راس المسلاتي.

١١- سورة الامتحان = الممتحنة.

١٢- سورة النساء الصغرى = الطلاق.

والأَولى في لُقمانَ والطلاقِ أن يُقال: البقرة القُصرَى، والنساء القُصرى، فإن القُصرى مؤنثُ أفعل التفضيل أقصر، بخلاف الصغرى، فإنها مؤنث أصغر، ولا يوصف القرآن بذلك، حتى إن الحنفية عدوه ناقضا[1]، وإن كان أهلُ الكتاتيبِ أنفسُهم يُنشدون:

ثلاثــة لا تُـصــغَّــرُ *** المصحف والمسجد والسورُ

د- سُورٌ حُمِلَ معناها على غير المعنى الصحيح:

١- سورة الحشر: فعامةُ أهلِ الكتاتيبِ على أنَّ الحشرَ هو الجمعُ على أرض المحشر عند قيام الساعة، وهذا خطأٌ محضٌ، بل الحشرُ هنا بمعنى الإجلاء والإخراج من الديار، والـمُخرَجونَ هنا هم يهودُ بني النضير، ولذلك استحبَّ بعضُ السلفِ تسميتَها سورةَ بني النضير.

(١) يُنظر: شرح الطحاوية، لآل الشيخ، (١ / ٥٨١).

٢- سورة يس: التي يُحمَلُ اسمُها على النبي ياسين عليه السلام المذكور في سورة الصافات، حيث قولُه تعالى: {سلام على آل ياسين}(١)، وهو خطأٌ ظاهرٌ، يردُّه الرسمُ، وإنما (يس) حرفان من الحروف المقطعة التي بُدئَت بها السور، نحو: حم، طس، وفي معناها خلافٌ لا يحتمله هذا المقام.

٣- سورة طه: تُجعلُ في اصطلاحِ الكتاتيبِ اسماً للنبي محمدٍ ﷺ، نُودِيَ فقيل له: {ما أنزلنا عليك القرءان لتشقى}(٢)، وهو خطأٌ بيِّنٌ، إذِ الطاءُ والهاءُ حرفان من الحروف المقطَّعةِ التي بُدِئتْ بها بعضُ السور، كـــحم، وطس، ولعلَّ هذا سببٌ في استحبابِ تسميتها بسورة الكليم.

ومن أظهر الأدلة على أن {طه} و{يس} من الحروف المقطعة، وليس من أسماء الأنبياء – أن الإمام أبا جعفر المدني سكت لدى الياء في {يس} وعلى الطاء في {طه} سكتةً خفيفة، كما هو مذهبه في السكت على الحروف المقطّعة.

ثانيا: الأسماء المركَّبة: وهي كلماتٌ نُحِتتْ من كلمتين فأكثر، كالبسملة، بمعنى بسم الله، والجعفلة، بمعنى جُعِلتُ فداك، ونحو ذلك، فمن ذلك:

١- الحواميم: ويُقصَدُ بها سبعُ سُورٍ مبدوءة بـــ«حم»، هي: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، وقد وردت بتسميتها هذه آثارٌ مختلفة، والصحيح منها مقطوع، جاء عن زر بن حُبيش رحمه الله(٣).

(١) سورة الصافات، (١٣٠).

(٢) سورة طه، (٢).

(٣) يُنظر: جمال القراء، للسخاوي، (١٨٩).

٢- اللواميم: ويُقصَدُ بها ستٌّ سور بُدِئت بـ «ألم»، هي: البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة.

٣- الطواسيم، أو الطواسين: ويُقصدُ بها ثلاثُ سورٍ: سورتان أولهُما «طسم»، هما: الشعراء، والقصص، وسورة أولها «طس»، هي: النمل.

تنبيــه:

قال الجوهري في نحت الألقابِ السابقةِ ثلاثتِها: «والصوابُ أن تُجمَع ... بذواتِ، وتُضافُ إلى واحدٍ، فيُقال: ذواتُ طسم، وذواتُ حم، وإنما جُمِعت على غير قياس»(١).

٤- الـمُسبِّحات: وهي خمسُ سُورٍ بُدِئَتْ بتسبيح الله سبحانه، هي: الحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن.

وجاء في بعض الآثار أن المسبحات سبع: الخمسة المذكورة، يُزاد عليها الإسراء، والأعلى، والخمسة الأولى فقط هي مُعتمَد الكتاتيب(٢).

تتمة:

درجَتْ كتاتيبُ مسلاته على إهمالِ ترجمةِ السُّور، سواء في الألواحِ أو الدفاتر، فلا يُذكَرُ اسمُ السورة، ولا رقمُ ترتيبِها، ولا عددُ آيِها، ولا مكيةٌ هي أو مدنية، لذلك جُهِل اصطلاحُهم فيما يتعلق بهذه الأمور، ما عدا الترتيب، فإنه كترتيب المصحف لكن لا يذكرون له رقَماً، أما ما كان كالحذفِ أو الإثبات في نحو: (سورةُ الكافرون)، وكالشَّكْلِ أو تركِه في السور المسماةِ بأوائلها من الحروف المقطّعة،

(١) يُنظَر: تاج العروس، للزبيدي، (١٦ / ١٨٢).

(٢) يُنظر: جمال القراء، للسخاوي، (١٩٠).

نحو: (سورة ن)، أو ضبط الهمز، وما أشبه؛ فإن مذاهبَهم في ذلك مجهولة، إلا أنَّ المصاحفَ –وهي مُتداولةٌ في الكتاتيب– لم تُـهمل ذلك، بل أثبتته واختلفت في كيفيته؛ إعمالاً للقواعد الإملائية –وهو الأصل–، أو مرعاةً لجوارِ الرسم القرآني، حيثُ خُدِمَت السورةُ القرآنيةُ بتلك الترجمة، فمن ذلك مثلا: ترجمةُ سورة الليل، هل الليل بلام واحدة (اليل) كما النصُّ القرآني؟ أم أنها بلامين (الليل) كما هو القياس؟!

أهلُ الكتاتيب – كما ذكرتُ – لا يُثبتون هذه التراجم في الألواح، لذلك جُهِل اصطلاحُهم فيها، أما المصاحفُ الليبيةُ، فهذا اصطلاحها:

أولا: مصحفُ الجماهيرية:

يُـجرِي مصحفُ الجماهيريةِ على تراجِم السورِ قواعدَ الرسمِ العثماني، فيُثبِتُ اللام الثانية[1] فقط في ترجمة سورة الليل (سورة الَّيل)، ويَحذفُ ألف جمع المذكر السالم كما في ترجمة سور (الكـــفرون / المنـــفقون)، وكذلك المؤنث السالم، نحو: (سورة الصـفـــت / النـــزعـــت)، ومثله كلُّ ما حذف من القرآن، نحو: سور (لُقمَـــن / إبرهيم)، وأيضا يجعل الهمز على السطر في (سورة ءال

(١) عرفنا أن اللامَ المُثبَتَة هي اللامُ الثانيةُ من خلال الضبط؛ فإنَّ أهل الرسم مُتفقون على حذف إحدى اللامين، لكنهم مختلفون في أيتهما المحذوفة؟ وبالنسبة إلى الإمام أبي عمرو الداني رحمه الله فإن له فيها – اليل – وفي أمثالها، نحو: الذي، والتي، والذان، والذين، واللاتي، واللائي – الوجهين: حذف الأولى، وحذف الثانية، وقد أخذت أكثرُ المصاحفِ بحذف الأولى، والقليلُ منها أخذ بوجه حذف الثانية، ويُعرفُ المذهبان بضبطِ اللام بالشدِّ والفتح أو خلوِّها من ذلك، فإن ضُبِطت –وهو اصطلاحُ مصحف الجماهيرية ومصحف الأوقاف الليبية– فهو وجهُ حذفِ اللام الأولى، وإن عرت اللام من الشدِّ والفتح؛ فاللامُ الثانيةُ هي المحذوفة، وبهذا عُمِل في مصحف أمانة التعليم.

عمرن)، ويُسمِّي السورةَ بحرفِها نحو: (سورة الأنبئاء) بالهمز، ويَضبطُ الهمزَ بقواعده، كما في: (المايدة) الهمزة تحت النبرة... أي أنه يطَّردُ في الترجمة بما اعتمده في كلامِ الله روايةً ورسْماً، ولا يخرج في شيء من ذلك.

ثانيا: مصحفُ أمانة التعليم، ومصحفُ الأوقاف الليبية:

يعتمِدُ المُصحفانِ لتراجم السور قواعدَ الرسمِ الإملائي القياسي، فالليل –مثلا– بلامين: (سورة اللَّيل)، وكذلك جموع السلامةِ – مُذكَّرُها ومؤنثُها – بإثبات الألف، ومثْلُه ما حُذف في المتلوِّ يُثبَت في الترجمة، نحو: سور (الكافرون / المنافقون / الذاريات / النازعات / لقمان / إبراهيم)، وأيضا همز البدل أو شبهه في أول الكلمة، يكون علامةً لا همزاً على السطر، وذلك في (سورة آل عمران)، وهكذا يطَّردان في كُلِّ ما خالفَ فيه الرسمُ العثمانيُّ الرسمَ القياسي، باعتمادِ القياسي، كما أنهما يوافقان حرفَ الرواية، تُستثنى من ذلك كله أمور:

١- خرج المصحفان عن الأصل في ترجمة سورة الأنبئاء، حيثُ تَرجَما لها بغير ما يُقْرأ به لقالون، وهو الهمز، بل اعتمدا الياء (سورة الأنبياء).

٢- خرج مصحف الأوقاف الليبية عن أصله في ضبط الهمز، حيثُ ترجم لسورة المائدة بجعل الهمز تحت النبرة، (سورةُ المائدة) ومقتضى أصله أن تُجعل فوقها.

٣- خرج مصحف أمانة التعليم عن أصله في ضبط كلمة سبأ، من (سورة سَـــبَـا)، فلم يُثبت همزاً للألف (سبإ)، بينما أثبتَها في (سورة النبإ) لكنه أيضا خرج عن أصله في موضع الهمزة، بأن جعلها – وهي مكسورة – فوق الألف (النبأ).

٤- خرج مصحف أمانة التعليم كذلك عن أصله في ضبط سورة الصافات، حيثُ حَذَف ألِفَيها، (الصـــفـــت).

المبحث السادس
الاصطلاح الفقهي

إنَّ لكلِّ نشاطٍ علميٍّ أو حِرَفِيٍّ... أموراً تُصاحبُه، ينبغي أن يُعلَمَ حُكمُ الله فيها، قبلَ الإقدامِ عليها، وليس يخلو فعلٌ لابنِ آدمَ لا حُكْمَ لله فيه، وهذه الأحكامُ مُستفادةٌ من نصوص الكتاب والسنة، والإجماع، والقياس، وغيرها من الأدلة الشرعية، ولهذا عُنِيتِ الكتاتيبُ بتدريسِ مُهماتِ هذه العلوم.

المطلب الأول: اصطلاح الكتب العلمية المُدرَّسة في الكتاتيب

قد كان للمسجدِ في مدينة مسلاته غيرَ تعليمِ الناسِ القراءةَ والكتابةَ والقُرآنَ – وظائفُ كثيرة، ففيه أداءُ الصلواتِ الخمسِ والجُمع، وفيه إلقاءُ المواعظِ، والدروسِ، والخُطَبِ، وفيه إفتاءُ الناسِ، كحال مسجدِ «خلِفْتَه» كلَّ يوم خميس، وفيه أيضاً تُحَلُّ النزاعاتُ وتُعقَدُ مجالسُ القضاءِ، وذلك قبل تأسيسِ المحكمةِ الشرعيةِ بالمدينة(١).

كذلك كان للمساجد دورٌ سياسيٌّ بارزٌ، ففي جامع المجابرةِ –مثلاً– تأسست الجمهوريةُ الطرابلسيةُ سنة (١٩١٨م)، فكونت مجلس الجمهورية، ومجلس الشورى، ومجلس القضاء، وعنها صدرت جريدةُ البلاغِ الناطقةُ باسمِ الحكومة،

(١) يُنظر: مسلاته في العهد العثماني الثاني، لغيث (196 – 195).

ورئيس تحريرها الشيخ عثمان القيزاني المسلاتي[1]، وفي ظلِّ الدولةِ الحديثةِ مُنعت الأنشطةُ السياسيةُ في الكتاتيبِ والمساجد، درءاً للفتنةِ، ومراعاةً للاختصاصِ، ومع ذلك ظلت بعض الجماعات تستخدم المحاريب والمنابر لمآرب سياسية.

وبالنسبةِ إلى طُلَّابِ العلمِ، لم تكن المساجدُ والزوايا محالَّ تحفيظٍ للقرآن الكريم فحسب، بل كان الطلابُ فيها يُزاوجون بين حفظ القرآن وحفظ المتونِ العلميةِ واستظهارِها، فكانت الكُتُبُ في شتَّى العلومِ تُجرَدُ وتُشرح، وكانت المتونُ تُكتَبُ في اللوح لتُحفظ: بيتان أو ثلاثةٌ تُقارن المحفوظ اليومي من القرآن، أو يكون ذلك عقب الختم، وعادةً ما يبتدئون بالمرشد المعين:

يقــول عبــد الواحــد بــنُ عــاشرِ مبتــــدئا باســـــمِ الإلـــه القـــادرِ

وقلَّ أن يُصادَفَ طاعنٌ في السنِّ من حملةِ القرآنِ لا يحَفظُ شيئا من هذا النظم، وكذلك كان اعتناؤهم كبيراً بحاشية الصفتي، حتى قالوا فيها:

اللي ما عنداش الصفتي ❊❊ ما يفتي

وكذلك اعتنوا ببعض كتب التفسير، واللغة، والحديث، والتاريخ، وتراجم الأعلام كالحسن البصري، ورُبما أحمضوا ورققوا القلوب بلامية ابن الوردي، أو بقصيدة «ألا يا نفسُ ويحِكِ حدِّثيني»، أو قصيدة «ليس الغريبُ غريبَ الشامِ واليمنِ»، ورُبما اجتمعوا في أيامٍ مخصوصةٍ على إنشادِ قصائدَ لا تخلو من معانٍ فاسدةٍ، أو من الغلو في النبي ﷺ.

(١) يُنظر: مقال مسلاته ومسيرة تحفيظ القرآن، للدوكالي نصر، كتاب فعاليات المسابقة الثانية عشرة – مسلاته ٢٠٠٥، (٢٨ – ٢٩).

ومعلومٌ الخلاف الواقع بين أهلِ العلمِ في منهجية التدرُّج في الطلب، وهل يُكتفى بعلمٍ واحدٍ حتى يُستوفى أم يجُمع بين العلوم المختلفة؟ وأن طائفةً من أهل العلم على استحبابِ تركِ خلطِ القرآنِ بشيء من العلم، نصَّ على ذلك ابنُ خلدون وانتصر له(١)، وقد قال عبد الله بن الجراح لجُريجٍ لـمَّا ذهب يطلب علوم الشريعة على عطاء بن يسار: «قرأتَ القرآن؟ قال: لا، قال: اذهب فاقرأه، ثم اطلب العلم»(٢).

وبعضُ أهل العلم على استحباب الجمع بين أخْذِ القرآنِ وتعَلُّمِ العقيدة، والتفسير، والفقه، والحديث، واللغة، وما أشبه، وأنَّ أصحاب النبي ﷺ كانوا كذلك، كانوا يأخذون القرآن وما فيه من علمٍ وعملٍ، وإنما المحذور أن لا يأخذَ طالبُ العلمِ القرآنَ مطلقاً، أو أن يُؤخِّر أخْذَهُ عن بقية العلوم.

وعلى الجمع بين أخذِ القرآنِ وأخذِ علومِ الشريعةِ اصطلحت كتاتيبُ المدينة وزواياها، ومن بين تلك الزوايا التي عُرفت بتعليم طلابِها العلومَ اللغويةَ والشرعيةَ إلى جانب تحفيظهم القرآن الكريم:

١- زاوية الدوكالي: وفيها تُدرَّسُ جوهرة التوحيد للقاني، وعقيدة العوام للمرزوقي، وأقرب المسالك للدردير، وقطر الندى لابن هشام، والرحبية في الفرائض، ومقدمة ابن عاشر بشرح الطيب بن كيران، وتفسير البيضاوي، وصحيح البخاري، وألفية ابن مالك(٣).

(١) يُنظر: المقدمة، لابن خلدون، (٤٦١).

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٦ / ٣٢٧).

(٣) يُنظر: مسلاته في العهد العثماني الثاني، لغيث (١٦٦ - ١٩٧)، ومناقب علماء مسلاته، لنصر الدين، (١٣١ - ١٤٧).

٢- زاوية الجعراني: كانت تُدَرَّسُ فيها الآجرومية، ورسالة ابن أبي زيد، وأقرب المسالك للدردير[١].

٣- زاوية الهمالي: كان يُدرَّسُ فيها شرحُ المنوفي على الرسالة، وشرح الدردير على المختصر، وحاشية الدسوقي عليه، وشرح ميارة على ابن عاشر، وجوهرة اللقاني، وحاشية الصفتي[٢].

ثم ضُمت زاويةُ الدوكالي إلى الجامعة الإسلامية أواخرَ الخمسينيات، وقُرِّرَت فيها موادُّ شرعية تُدَرسُ إلى جانب حفظ القرآن الكريم، وفيها انصهر النشاطُ العلميُّ لبقية الزوايا والكتاتيب[٣].

ومنذُ نحوِ نصفِ قرنٍ اقتصرت عامةُ الزوايا والكتاتيبِ على تحفيظ القرآن الكريم وشيءٍ من علومه اللصيقة به، كأحكام التجويد، والرسم، والضبط، حتى نَشِطَ لهذا الأمرِ – تعليم العلوم الشرعية- بعضُ المعلمين، فجلسوا يُعلّمون تلاميذهم بعضَ المتون العلمية، منها: متونُ التوحيدِ والعقيدةِ السلفيةِ، كالأصول الثلاثة، ولامية ابن تيمية، وحائية ابن أبي داوود، ومقدمة ابن أبي زيد القيرواني، وسُلَّمِ الوصول، وفي الحديثِ الأربعون النووية، وفي السيرةِ الأرجوزةُ الميئية، وأيضا بعضُ المختصراتِ الفقهية، خاصةً التي تُعنى بالطهارة والصلاة، وبعضُ كتب التفسير، وكتب الآداب والأخلاق والرقاق... وهذا مما وجب على المعلمين أن

(١) يُنظر: مسلاته في العهد العثماني الثاني، لغيث، (١٧٥).

(٢) المصدر نفسه، (١٨٧ – ٢١٠).

(٣) يُنظر: مقال مسلاته ومسيرة تحفيظ القرآن، للدوكالي نصر، كتاب فعاليات المسابقة الثانية عشرة – مسلاته ٢٠٠٥، (٣٩).

يُعلِّموه تلاميذَهم، قال المغراوي: «ويعلمهم مبادئَ عقائدِ الإيمان»[1]، وقال سحنون: «ويلزمه أن يعلمهم الوضوء والصلاة»[2]، وقال محمد بن سحنون: «وينبغي له أن يُعلمهم ... الغريب»[3].

ومن هنا أعدَّتِ الهيئةُ العامةُ للأوقافِ والشؤونِ الإسلاميةِ منهجاً علمياً من خلالِ لجنةٍ علميةٍ تابعةٍ لها، وفرضت - منتصف سنة (٢٠٢٢) - على المعلمين التابعين لها تدريسَه في الكتاتيب، وهذا المنهج كالتالي:

١ - كتابٌ في فقه العبادات، وهو بعنوان: (روضة الناظر بتقريب متن ابن عاشر).

٢- كتابٌ في أحاديثَ قصيرةٍ تتناول العقيدةَ والمنهجَ والعباداتِ والآدابَ والسلوك، وهو بعنوان: (المختار من الأحاديث القصار).

٣- كتاب في بيانِ غريب كلماتِ القرآن الكريم، وهو بعنوان: (نزهة الغلمان في بيان غريب القرآن).

واللجنةُ العلميةُ التابعةُ للهيئةِ العامةِ للأوقافِ الآن بصدد إخراج كتابٍ في شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني العقدية، وكتابٍ مختصرٍ في علوم القرآن، وغيرهما.

(١) جامع جوامع الاختصار، للمغراوي، (٤٧).

(٢) آداب المعلمين، لابن سحنون، (١٠٩).

(٣) المصدر نفسه، (١٠٢).

المطلب الثاني: اصطلاح المسائل الفقهية المتعلقة بالكتاتيب

إنَّ من أهمِّ المسائلِ الفقهيةِ المصاحبةِ للتعليمِ الكتاتيبيِّ البسملةَ، والسجداتِ، والوضوءَ لمسِّ المصحف، والقراءةَ على الميت، والتدثُّرَ بالعُطلة الأسبوعية، ونحو ذلك من المباحث، وقد بات معلوماً ارتباطُ المذهب المالكيِّ بقراءةِ الإمام نافعٍ، وهي قراءةُ أهلِ هذا البلدِ، ومذهبُ مالكٍ مذهبُه، وقد قال مالكٌ في قراءة نافع: «قراءةُ نافعٍ السُّنَّةُ»(١)، وقال تلميذُه ابنُ وهبٍ: «قراءةُ أهلِ المدينةِ سُنة، قيل له: قراءة نافع؟ قال: نعم»(٢)، وقال القاضي عياض: «ذكر أبو عمرو الداني في كتابه (طبقات القراء والمقرئين) أن ابن طالب (من أصحاب سحنون) أيام قضائه، أمر ابن برغوث المقرئ بجامع القيروان، ألا يقرئ الناس إلا بحرف نافع»(٣)، فلما كان ذلك كذلك؛ كان جلُّ ما يتعلقُ بالكتاتيب الليبية من الفقهياتِ موافقاً لمذهب الإمام مالك رحمه الله، ولا يكاد يخرج عنه إلا يسيرا.

أولا: البسملة:

اصطلحتِ الكتاتيبُ على أنَّ البسملةَ ليستْ آيةً لا من الفاتحةِ ولا من غيرِها، إلا البسملةَ في أثناءِ سورةِ النمل، وهو مذهبُ الإمام مالكٍ رحمه الله، وقد عُلِم هذا عنهم بأمرين:

الأول: أنهم في التنزيل -علم المتشابه- يجعلون ما ورد في القرآن الكريم من لفظ (بِسْمِ) الخالي من الألف - موضعين فقط: موضع هود: {بسم الله مجراها}،

(١) السبعة، لابن مجاهد، (١ / ٦٢).

(٢) المصدر نفسه، (١ / ٦٢ - ٦٣).

(٣) المدارك، للقاضي عياض، (١ / ٤٨٣).

وموضع النمل: {وإنه بسم الله الرحمن الرحيم}، ولو كانت البسملةُ في اصطلاحهم قرآنا؛ لاندرجت في المتشابه، ولكان العددُ ثلاثة.

الثاني: افتتاحُهم الصلاةَ بـ{الحمد لله رب العالمين} دون بسملة، وهذا موافقٌ لقول النبي ﷺ: «**قالَ اللهُ تَعالَى: (قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وبيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، ولِعَبْدِي ما سَأَلَ، فإذا قالَ العَبْدُ: {الحُمْدُ للهِ رَبِّ العالمِينَ}، قالَ الله تَعالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي...)**»[1]، وبهذا الحديثِ وغيرِه استدلَّ المالكيةُ على أن البسملةَ ليست من الفاتحة ولا من غيرها.

على أنَّ أهلَ الكتاتيبِ يُعطُونَ البسملةَ حُكمَ القُرآنِ الكريم، فتُكتَبُ في الألواحِ والمصاحفِ، وتُتلَى وتُجوَّدُ، وتُحترمُ وتُحتوى، ويُقالُ قُبيلها: قال تعالى، ونحو ذلك، وهذا الذي عليه أهلُ الكتاتيبِ قولُ جمهورِ الشافعية ومحققيهم، من أنها آيةٌ حُكماً لا قطعاً[2].

ولمَّا أفتى الشيخ عبد السلام قاجة الورفلي رحمه الله بوجوب الإتيان بالبسملة ووجوب الجهر بها في صلاة الفريضة، وبطلان صلاة من لم يبسمل، إذا قرأ المصلي لقارئٍ يُوجِب البسملة كقالونَ وابنِ كثير؛ ردَّ عليه الشيخ محمد بن أحمد العالم المسلاتي (ت ١٩٣٥) وابنُه الشيخ أحمد، وانتصرا لمذهب مالك القائل بعدم قُرآنيةِ البسملة، واحتدَّ الجدلُ في هذه المناظرة الثلاثية بما يُثْري موضوعَها، وقد حُقِّقَت هذه المناظرةُ وطُبعت من قِبَلِ أحد الباحثين الليبيين[3].

(١) موطأ مالك، لمالك بن أنس، كتاب الصلاة، باب القراءة خلف الإمام فيما لا يجهر فيه القراءة، (٢٢٤).

(٢) يُنظر: غيث النفع، للصفاقسي، (٢٢).

(٣) يُنظر: مسلاته في العهد العثماني الثاني، لغيث، (٢٠٦).

ثانيا: السجدات:

تابعَتِ الكتاتيبُ مشهورَ مذهبِ مالكٍ في سُنِّيَّةِ السجودِ للتلاوة، وفي اشتراطِ الطهارةِ له، والسَّترِ، واستقبالِ القِبلة، وفي أوقات الجواز، والكراهةِ، والحُرمة، وكذلك في عدد السجداتِ، ومواضعها من السور، ولمْ يُفارقوا المذهبَ إلا في مسألةِ الائتمامِ في سجود التلاوةِ بمَن لا يصلح لإمامة الصلاة، كائتمام المُعلِّمِ بتلميذه الذي هو دون البلوغ، فإنهم فيه على خلاف المذهب، وقد قال الإمام مالك: «وإذا مر المعلم بسجدة وهو يقرؤها عليه الصبي، فليس عليه أن يسجد؛ لأن الصبي ليس بإمام ... وكذلك المرأة إذا قرأت السجدة على الرجل، لم يسجد الرجل»[(١)]، وقد جمع البشارُ المالكيُّ أحكام سجود التلاوة في قوله:

وسجدةُ القرآنِ سنةٌ على ... شرطِ الصلاةِ أو لنفلٍ نزلا
من غير إحرامٍ ولا تسليمِ ... لقارئٍ أو قاصدِ التعليمِ
من قارئٍ يصلح للإمامَه ... ولم يُسَمِّعْ للورى أنغامَه
عِدَّتُها إحدى عشرْ: في ختمِ ... أعرافِ رعدِ النحلِ إسرا مريمِ
فرقانِ أولى الحجِ صادِ النملِ ... سجدةِ حاميمَ، بحل النفلِ
يَتبعُه المأمومُ فيها إن قَرَا ... وإن تكن سرّاً بها فليجهرَا[(٢)]

وفي اصطلاح الكتاتيبِ يُشار إلى موضع السجدة من السورةِ في أثناء النص القرآني، لا في الحاشية، سواء كان ذلك في اللوح، أو في الربعات المخطوطة، وتكون العلامةُ كلمة (سجدة) بتصرفات مختلفة، كما هو موضَّحٌ في ربعة الشيخ محمد زهير المسلاتي:

(١) آداب المعلمين، لابن سحنون، (١١٥ - ١١٦).

(٢) أسهل المسالك، للبشار، (٦٤ - ٦٥).

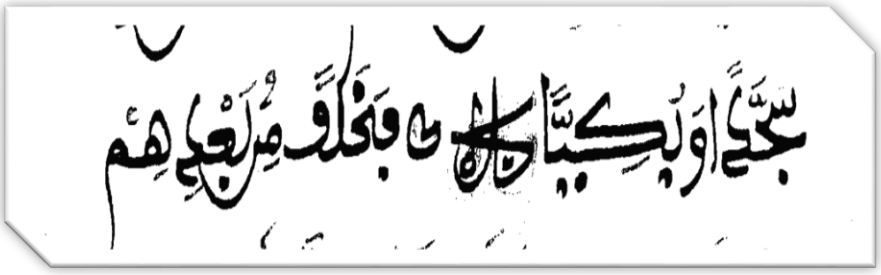

ولمَّا طُبع مصحفُ الأوقاف الليبية حديثا، ارتأت لجنةُ الخبراءِ أن تُثبِتَ خمسَ عشرةَ سجدة، لأسباب كثيرة، منها مراعاةُ من يقرأ فيه ممن ليس على مذهب مالك، أو ممن ترجح عنده السجود في غير الإحدى عشرة، وأيضا الجمعُ بين ما صح من الأحاديث القاضية بأن في المفصل سجوداً للتلاوة وبين الأحاديث النافية لذلك، وهو تحقيق مذهب المالكية، فإنهم يجعلون السجدات نوعان: عزائمُ تتأكدُ سُنيةُ السجود عندها، وسجداتٌ ليست من عزائم السجود، أي لا يتأكدُ استحبابُ السجود لديها، وهو مذهب القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي وغيره، وروي عن الإمام مالك أنه كان يسجد فيها في خاصة نفسه، وكذا ابن وهب، وابن العربي، وقد نقل ابنُ بشيرٍ المالكي عن القاضي عبد الوهاب أنه: «يرى أن السجود مأمور به في جميع الخمسة عشر، لكنه في الأحد عشر آكد منه في الباقي، وعليه يتأول المشهور، ويحتج بقول مالك في موطئه: «عَزَائِمُ سُجُودِ القُرآنِ إِحدَى عَشرَةَ سَجدة»، وهذا يدل على أن في القرآنِ سجودَ غيرِها، لكنه ليس من العزائمِ، فيصير المذهب عنده على أن السجود مشروع في الأحد عشر موضعاً متأكداً، وفي غيره من الأربعة مواضع غير متأكد، وهو غير مشروع في غير هذه المواضع»[1].

(١) التنبيه على ما مبادئ التوجيه، لابن بشير، (٢/ ٥١٤).

وليس مصحف الأوقاف الليبية ببدع في هذا الأمر، بل سبقه إلى ذلك عدةُ مصاحفَ يتمذهبُ أهلُ بلدها بمذهب الإمام مالك، بل وقع هذا في مصحف الجماهيرية برواية البزي عن ابن كثير، وهو من إصدار جمعية الدعوة الإسلامية، كما هو مبيَّنٌ في هذه الصور:

ثالثا: الوضوء من لمس المصحف:

فشا بين رُوَّادِ الكتاتيبِ أن المصحفَ لا يمسه إلا متوضئ، ويستدلون لذلك بقوله تعالى: {لا يمسه إلا المطهرون}(١)، ويستثنون من ذلك المُعلِّمَ والمُتعلِّمَ رفعاً للحرج.

أمَّا أنَّ الأصلَ في المصحفِ ألا يمسَّه إلا طاهرٌ؛ فاتِّفاقٌ، قال الإمام مالك: «ولا يحملُ أحدٌ المصحفَ بعِلاقته، ولا على وسادةٍ، إلا وهو طاهر»(٢).

وأما أنَّ دليلَ ذلك آيةُ الواقعةِ؛ فمحلُّ خلاف، هل المراد بالماسِّ الملائكة وبالممسوس اللوح المحفوظ؟ أم هما المؤمنُ الطاهرُ والمصحف؟ أم العموم؟ أقوال، ومالك ﷺ على ما تأوَّلتِ الكتاتيبُ، إلا أنَّ استدلاله كان من وجه آخر، قال ﷺ: «أحسن ما سمعت في هذه الآية {لا يمسه إلا المطهرون} إنما هي بمنزلة هذه الآية التي في {عبس وتولى} قولُ الله تبارك وتعالى: { كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره ... }»(٣).

وأما استثناءُ المعلِّم والمتعلِّم من ذلك؛ فقد ذكر الشيخ خليل ﷺ في مختصره أن ذلك لهما وللحائضِ فقط، في أجزاءِ القرآن الكريمِ دون المصاحف، وذكر الدردير ﷺ في الشرح الكبير على المختصر: أنَّ معتمدَ المذهبِ المالكيِّ الجوازُ حتى في المصحفِ الكامل، وذكر الدسوقي في حاشيته على الشرح الكبيرِ أنَّ ابنَ بشيرٍ نقلَ الاتفاقَ على ذلك(٤).

---

(١) سورة الواقعة، (٧٩).

(٢) الموطأ، لمالك بن أنس، (١ / ٢٧٥).

(٣) المصدر السابق، (١ / ٢٧٥).

(٤) يُنظر: الحاشية على الشرح الكبير، للدسوقي (١ / ١٢٦).

رابعا: القراءة على الميت:

درجتْ كثيرٌ من العوائلِ على اعتبارِ القراءةِ على ميِّتِهم من جُملةِ مُؤَن التجهيز، فيُؤتى بطُلابِ الكتاتيبِ ومشايخِهم بعد تكفينِ الميتِ ليُقرَأ عليه القرآنُ كاملاً، فتُفرَّقُ أجزاءُ الربعةِ عليهم، ويَقرأُ كلُّ طالبٍ أو شيخٍ في جزئه حتى يختمه، فيتحصَّل من مجموعِ قراءاتهم ختمة كاملة أو أكثر، يَختَتِمُها المُبرَّزُ فيهم بدعاءٍ ضُمِّنَ إهداءَ ثوابِ ما قُرئَ إلى الميت، ثم يُصيبُ أهلُ الكتاتيبِ لقاءَ ذلك مالاً أو طعاماً، ويُسمَّى هذا العملُ في عُرفهم «ختمة»، ويُجمع على «ختامي»، وفي بعضِ المناطقِ يُسمَّى «تاليف»، ويُجمع على «تواليف»، وقد تُفعل هذه «الختامي» أو «التواليف» في غير وقتِ الدفنِ؛ بِرّاً بالميت، خاصةً في المواسم المعظمة، كسنويَّةِ وفاته، أو في شهر رمضان، ونحو ذلك، وبعضُ المشايخِ يتـخذُ هذا الأمرَ مِهنةً، وهؤلاء هم الجنائزية كما سمَّاهم أهل العلم.

ومذهبُ مالكٍ ﷺ منعُ القراءةِ على الأموات، وأنَّ ثوابَها لا يصل إلى مَن أُهدِيَ إليه(١).

خامسا: مستندُ العطلات الأسبوعية والسنوية:

العطلةُ: من التعطيل، وهو الخلوُّ والفراغ، واصطلاحا: ترك العمل في أيامٍ مخصوصة، ويُقصدُ بها في عرف الكتاتيب: الأيامُ التي تتوقف فيها القراءة.

وقد جرى عملُ كتاتيب مسلاته على اتـخاذِ يوم الخميس عطلة أسبوعية، والتعطيلُ يومَ الجمعةِ من باب أولى، والظاهرُ أنَّ عامةَ أقطار المغربِ الإسلاميِّ تعتمدُ الخميس عُطلةً، قال صاحب سراج طُلَّاب العلوم:

(١) يُنظر: أنوار البروق، للقرافي، (٣ / ٢٢١)، بدع القراء، لبكر أبو زيد، (٢١).

يـومُ الخمـيسِ هـو عيـدُ الطَّلَبـه خـذ فيـه راحتـك يـا ذا المرتبَـه[1]

وقد رووا في سبب جعْلِ الخميسِ عطلةً: أن عمر بن الخطاب ﷺ لـمَّا رجع من بيت المقدس، وقد اشتاق إليه تلامذةُ المدينةِ، فصادف لقاؤه إياهم يوم الخميس وصدراً من الجمعة - أوجبَ ذلك لهم، وسَنَّهُ للاستراحة، ودعا على مَن عضل هذه السنة، ثم اقتدى به علماء السلف، وكان هذا دأبَ العرب الأقدمين، فإنهم كانوا يُسمُّون الخميس مؤنِساً...[2]، وبهذا تكون العطلةُ من قبيل العبادة، لأنها سُنةُ خليفةٍ راشدٍ، أمر بها ودعا على من عطَّلها، هذا هو سببُ العطلة فيما روي.

لكنَّ هذا الأثرَ غيرُ معروفٍ في الصحاح ولا السنن ولا المسانيد، وعلى فرضِ ثبوته؛ فإنَّه لا أَحَدَ من الأئمةِ والفقهاءِ قال بوجوب التعطيل في هذه الأيام، بل جاء عن المالكية خلافُ ذلك، فإنهم كرِهوا التعطيلَ يومَ الجمعةِ تسنُّناً، يقول البشارُ في أعمالِ يوم الجمعة:

وكرهـــوا عنـــد الأذانِ الـــنفْلَا كتركـــه للاســـتنانِ الشُّـــغْلَا[3]

وذُكِر أنَّ سببَ اتـخاذِ الخميسِ عطلةً في مدينة مسلاته -وهو الأظهرُ- هو مقارنتُه للجمعة التي تُعطَّل فيها الأعمالُ، وكذلك الآفاقيُّ يزور فيها أهلَه، وقيل -وله وجهٌ- إنَّ السببَ كونُ الخميسِ يومَ السوقِ الشعبي للمدينة، فيه تقوم التجارة، وتُقضَى الحاجاتُ... وعلى هذين القولين تكون العطلةُ عادةً، قُصِدَ بها الاستجمامُ والتفرُّغُ لقضاء الحوائج.

(١) الابتهاج بنور السراج، للبلغيثي، (١ / ٢٥٩).

(٢) المصدر نفسه، (١ / ٢٦١).

(٣) أسهل المسالك، للبشار، (٧٦).

وكانت العطلةُ في هذا البلدِ خلالَ عقودٍ مضتِ الخميسَ والجمعة، ثم اكتُفِيَ بالجمعة وحدها، ثم أضيف إليها السبت، وهي على ذلك الآن، يُضافُ إلى هذه العطلة الأسبوعية عطلاتٌ سنوية: دينية، وقومية، واجتماعية، هي: يوم المولد، ويوم رأس السنة الهجرية، وثلاثة الفطر، وثلاثة الأضحى، ويوم عرفة، ويوم الثورة، ويوم العمل، ويوم التحرير، ويوم الشهيد، ويوم الاستقلال، وكلُّ يومِ عملٍ تـخلَّل عطلتين.

ثم أُلحِقَ -مؤخراً- بهذه الإجازاتِ يومان للاستجمامِ والتنزُّهِ الجماعي، يومٌ ربيعي، يُخرَجُ فيه إلى السهولِ والجبال والغابات، ويومٌ صيفي، يكون الخروجُ فيه إلى البحر، ومما ينبغي الالتفاتُ إليه، أنَّ مثلَ هذا الخروجِ قد استُغلَّ -أحياناً- استغلالاً سيئاً، حتى إنه جرَّ إلى فظائعَ ومآسٍ كثيرة: فكريةٍ، وأخلاقية، وجسدية، بل ذهبت في ذلك أرواحٌ، وأموالٌ، ولذلك لا تأذنُ الأوقافُ به إلا بإذنٍ مسبَقٍ، ولو وقع الخروجُ في يوم عطلة.

وعامةُ المُعلِّمين يوافقون العُطَلَ التي تعتمدها الدولة، الأسبوعية، والسنوية، الدينية منها والقومية، وافقَت عيداً صحيحاً -وهو الجمعة والعيدان- أو باطلا، وهذا هو الأَولى؛ موافقةً لمؤسساتِ الدولة، وتـخلُّصاً من التبعاتِ المحتملة.

وبعضُ الشيوخِ لا يُعطِّلُ إلا ثلاثةَ أيامِ الفطر، وثلاثةَ الأضحى، وربما زِيدَ للأضحى رابعٌ، ولا يُعطِّلُ في غيرها، حتى إنَّه يُدرِّسُ يومَ السبتِ، ويومَ الجمعةِ بعد صلاة العصر، كالشيخ إبراهيم الزنيقري رحمه الله الذي كان حِلْسَ كُتَّابِه بجامع المجابرة.

هذا بالنسبة للمعلم بأجرٍ من خزينةِ الدولة، أما المعلمُ بأجرٍ من أولياء التلاميذ ونحوهم، فليس له ذلك في غير الجمعة ونحوها، إلا بإذن الأولياء، قيل لسحنون:

أترى للمعلم سَعةً في إذنه للصبيان اليوم ونحوه؟ فقال: «ما زال ذلك من عمل الناس، مثل اليوم وبعضه، ولا يجوز له أن يأذن لهم أكثر من ذلك، إلا بإذن آبائهم كلهم، لأنه أجير لهم»(١)، وجعل ﷺ عطلة عيد الفطر يوما واحدا، ولا بأس بثلاثة، وعطلة الأضحى ثلاثة، ولا بأس بخمسة(٢).

سادسا: التمايُلُ أثناء القراءة:

عاب أهلُ العلمِ تمايُلَ القُراءِ أثناء التلاوة، وجعلوه بدعةً يهودية، تشرَّبها المشارقةُ المصريون، ثم فشت في سائر الأقطار الإسلامية، وممن اشتدَّ نكيرُهم على هذه البدعة علماءُ المالكية في الأندلسِ وإفريقية، حتى ذكرَ الصفديُّ تصنيفاً في ذلك لابنِ أبي زيد القيروانيِّ بعنوان: «كتابُ مَن تأخذُه عند قراءة القرآن حركة»، لكنه مفقود(٣).

قال الزمخشري ﷺ: «لما نشر موسى عليه السلام الألواحَ وفيها كتابُ الله تعالى؛ لم يبقَ شجرٌ، ولا جبلٌ، ولا حجرٌ، إلا اهتز، فلذلك لا ترى يهودياً يقرأ التوراةَ إلا اهتز وأنغضَ لها رأسَه»(٤).

سابعا: تقليدُ الأصواتِ والقراءةُ بالمقامات:

تميزت التلاوةُ الليبيةُ في القرن الماضي -حتى العقدين الأخيرينِ منه- بالسلاسةِ والأصالةِ، ولم يكتنفْها -في مقام الأداء- تقليدٌ للقراء، ولا سيرٌ على

(١) آداب المعلمين، ابن سحنون، (٩٥).

(٢) يُنظر: المصدر نفسه، (٩٧ - ١٠٤).

(٣) يُنظر: بدع القراء، لبكر أبو زيد، (٥٧).

(٤) الكشاف، للزمخشري، (٢ / ٣٩٥).

قوانين الموسيقى، ثم فُتح بابُ هذا الأمرِ قليلًا آخِرَ القرن الماضي، وهو الآن على مصراعيه.

أ- تقليدُ الأصوات:

لمْ يكن تقليدُ أصواتِ القُراءِ ديدنَ الكتاتيبِ الليبية، وإنما طرأ هذا الأمرُ أواخرَ القرن الماضي، حين رجع بأصواتِ أئمةِ الحرمين الحُجاجُ والمعتمرون، وبلغت المحاكاةُ ذروتَها بشيوعِ الأشرطة، والكاسيتاتِ، وقنوات الراديو، والقنوات الفضائية، وصار دهماءُ الناسِ يقصدون المساجدَ التي يُحاكي أئمتُها أصواتَ المشاهير، حتى في النحنحة والبكاء في الدعاء، مهمِلين اعتبارَ فقهِ الإمام، وسلامةِ منهجِه وعقيدتِه وأخلاقِه.

والتقليدُ -وإن لم يكن محرَّما في هذا المقام- فأنه لا يوجد إلا في ضِعافِ التلاميذ، وفي المحاكاة للصوتِ الحسنِ نوعُ تبَعِيَّةٍ مُذِلَّةٍ، والشرعُ يبني في النفوس العزة، والكرامة، وترقية العقول[1]، ولا بأس بالتأثُّر القليل، الذي لا ينتحل به القارئُ شخص غيره.

ب- القراءة بالمقامات الموسيقية:

لم تعرف الكتاتيبُ الليبيةُ المقاماتِ الموسيقيةَ إلا منذ بضعةِ عقودٍ، وليس هذا بمستغرب، فأهلُ هذه الديار على مذهب الإمام مالك، وقد منع ذلك، قال محمد بن سحنون: «ولا أرى أن يُعلمهم ألحان القرآن؛ لأن مالكًا قال: «لا يجوز أن يقرأ القرآن بالألحان»، ولا أرى أن يُعلِّمهم التحبير؛ لأن ذلك داعية إلى الغناء، وهو مَكروه، وأن يَنهى - أي المعلم - عن ذلك بأشدِّ النهي»[2].

(١) يُنظر: بدع القراء، لبكر أبو زيد، (٥٢).

(٢) كتاب آداب المعلمين، لمحمد بن سحنون، (١٠٤ - ١٠٥).

ثامنا: قراءة الحزب الراتب:

سبق في المطلب الثاني من المبحث الثاني تصوُّرُ الحزب وبيانُ محاسنه ومثالبه، ولأجلها وقع الاختلافُ بين أهلِ الكتاتيب في العمل به، فمنعته طائفةٌ، وعملت به أُخرى، ومشهورُ مذهبِ مالكٍ على منعه، قال الإمامُ الونشريسي: «وسئل أبو إسحاق الشاطبي عن قراءة الحزب بالجمع، هل يتناوله قوله ﷺ: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم**» كما وقع لبعض الناس أو هو بدعة؟ فأجاب: أن مالكا سئل عن ذلك فكرهه، وقال: لم يكن من عمل الناس، قال: وفي العتبية: سئل مالك عن القراءة في المسجد، يعني على وجه مخصوص كالحزب ونحوه، فقال: لم يكن بالأمر القديم، وإنما هو شيء أُحدِث، يعني لأنه لم يكن في زمن الصحابة والتابعين، قال: ولن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها...»[1].

تاسعاً: الكلامُ بالقرآنِ الكريمِ واستعمالُه في غيرِ ما يدلُّ عليه:

بَدَهِيٌّ أنَّ مَن تعلَّمَ عِلماً من العلومِ نضَحَ به وظهرَ أثرُ ذلك على أقواله وأفعاله، حتى رُبما لمْ يُراعَ في ذلك الحالُ والمقام، كما رُوِيَ أنَّ نحْوِياً قدِمَ على قومٍ يُعزِّيهم في ميِّتٍ لهم، فقال: أَجركم الله، وإن شئتم: آجركم الله، كلاهما سمعتُه من الفرَّاء!

وكثيراً ما يقع هذا من أهلِ الكتاتيب، تشبَّعوا بالتلاوة، فصاروا يتلون الآيةَ فيما يرونه مطابقاً أو مقارباً لمعنىً أو حدثٍ واقعٍ، ورُبما خرج بطريق المزاح، كقولهم عند المتاركة: {لكم دينكم ولي دين}، وقولهم عند الإذن بالدخول: {ادخلوها بسلام ءامين}، وقولهم فيما أغلق من المحالِّ والدور: {إنها عليهم موصدة}،

(١) المعيار المعرب، للونشريسي، (١١/ ١١٢).

بل سمِعتُ من ذُكِر عنده الخمرُ فقال: {فيه شفاء للناس}، وقال آخرُ مُدافعاً عن كتيبةٍ خبيثةٍ لـمَّا تضاربت مواقفُها من مجرمي المدينة: {لا تُسألُ عما تفعلُ وهم يُسألون}، فما أشبه قولةَ هذا بقولةِ الحجاج -إن ثبتت عنه- لما طلب مساجينُه الفَكاكَ والخروج: {اخسؤوا فيها ولا تُكلمون}!!

قال ابنُ مفلحٍ رحمه الله: «قال في المغني والشرح: لا يجوز أن يجُعلَ القرآنُ بدلاً من الكلام؛ لأن استعماله في غير ما هو له أشبهُ باستعمال المصحف في التوسدِ وغيره»(١).

عاشرا: خَلْقُ اللفظِ من القرآن (اللوح المحفوظ):

إن من أعظم الأمور المستهجنةِ في ثقافةِ الكتاتيبِ -سواء كان ذلك في أسانيد القراءةِ لمن اعتنى بالأسانيد أو تأثُّراً بإسناد الإمام قالون في ملاحق مصحف الجماهيرية- اعتقادَ أن اللوحَ المحفوظَ طبقةٌ من طبقاتِ إسنادِ القرآنِ الكريمِ بينَ جبريلَ ورب العزة جل وعلا، فإنه كما جاء في صفحة (هـ) من ملحق مصحف الجماهيرية أن النبي ﷺ قد أخذ القرآنَ عن جبريلَ، وأخذ جبريلُ من اللوح المحفوظ، عن رب العزة!!

وهذا تصريحٌ بأنَّ القرآن الكريمَ مخلوقٌ لفظُه دون معناه، والذي ليس بمخلوقٍ منه هو الكلام النفسيُّ، تكلم به المولى في نفسه ولم يُسمع منه، بل خلقه في اللوح المحفوظ، وأخذه جبريل من اللوح المحفوظ، فعبَّر عنه بكلامه هو، وسمع النبي ﷺ ذلك من جبريل، وبذلك يكون القرآنُ الذي بين أيدينا مخلوقا، وهذا هو حاصلُ عَقْدِ الأشاعرة، وقد تُدورِك هذا الأمرُ في مصحف الأوقاف الليبية، فلمْ يُذكرِ اللوحُ

(١) الآداب الشرعية، لابن مفلح، (٢ / ٢٧٧).

المحفوظُ في إسنادِ الإمام قالونِ الذي أدى إلى هذه الرواية، وإنما صُرِّح فيه بسماعِ جبريلَ القرآن من رب العزة جلَّ وعلا.

وأهلُ السنة على أن القرآنَ كلامُ الله عز وجل، غيرُ مخلوق، لفظُه ومعناه، متلواً، ومسموعا، ومُبصَرا، ومكتوبا، ومحفوظا في الصدور، وأن الله تكلم به حقيقةً، بصوت وحرف، وبه سمعه منه جبريل عليه السلام، فأداه كما سمعه، قال الإمام مالك: «القرآن كلام الله، وهو منه، وليس من الله شيء مخلوق»(١).

قال الإمام الداني: «وسامع كلامه منه تعالى بلا واسطةٍ، ولا ترجمان، كجبريل، وموسى، ومحمد ﷺ، سمعه من الله غير متلوٍ ولا مقروء... وكذلك قال تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾، فأكّد الفعل بالمصدر الذي يزيل المجاز، ويوجب الحقيقة... ومن عداهم ممن لا يتولى خطابه بنفسه فإنما يسمع كلامه مَتْلُوّاً ومقروءاً»(٢).

حادي عشر: وصلُ ختمةٍ بآياتٍ مخصوصة من القرآن مع تكرار سورة الإخلاص:

اعتاد أهلُ الكتاتيبِ عند ختمِ القرآنِ تعاهُداً أو تعبُّداً أن يُكرِّروا سورةَ الإخلاص ثلاثا، ثم يقرؤوا عقِبَ سورةِ الناسِ الفاتحةَ وفواتحَ البقرةِ وخواتيمَها وآيةَ الكرسي، خاصةً عند القراءةِ الجماعية.

أما تكرار سورة الإخلاص، فيقول ابنُ مفلح في ذلك: «قال تقي الدين: وإذا قرأ سورة الإخلاص مع غيرها؛ قرأها مرة واحدة، ولا يكرر ثلاثا، نصَّ عليه، قال ابن تيمية: منع أحمدُ القارئ من تكرار سورة الإخلاص ثلاثا إذا وصل إليها»(٣).

---

(١) العلو، للذهبي، (١٤٠).

(٢) الرسالة الوافية، للداني، (١٥٣).

(٣) الآداب الشرعية، لابن مفلح، (٢/ ٢٩٦).

وأما وصلُ الختمة بالآيات المذكورة آنفا، فقد قال الشيخ بكر أبو زيد: «والإمام أحمد رحمه الله تعالى لم يستحبَّ وصلَ ختمة بأخرى على الوجه المتقدم، قال ابن قُدامة: لعله لم يثبت فيه عنده أثرٌ صحيح. اهـ، وقال ابن القيم: إن ذلك لا يُعرف عن الصحابة ولا التابعين. اهـ، وقد رُوِي فيه حديث (الحال المرتحل) عند الترمذي، وهو ضعيف، مع ما قاله ابن القيم وغيره في معناه من تأويل، وأنه في الغزو، وقد نوزع في ذلك، وأن معناه الحث على تكرار الختم ختمة بعد أخرى»[1].

(١) مرويات دعاء ختم القرآن، لبكر أبوزيد، (٢٣٥ – ٢٣٦).

الخاتمة

النتائج

توصَّلتُ من خلال هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

١- تُعد الكتاتيبُ القديمةُ نواةَ المعارفِ المختلفةِ، التي أدت إلى الرُّقِيِّ بالمؤسسات العلمية للدولة الحديثة، وتأهلِ رجالاتها إلى القراءة، والإقراء، والتدريس، والإفتاء، وقد كان ولا يزال رُوَّادُ الكتاتيبِ صفوةَ المجتمعِ، ولا يزالون على أقرانهم ظاهرين.

٢- أثبت السردُ التاريخيُّ لحياة الكتاتيب أنَّ النصَّ القرآنيَّ هو الثابتُ الوحيدُ والمحفوظُ المعظم، وما سواه مما صاحبَ عمليةَ الحفظِ والتحفيظِ -من رسمٍ، وضبطٍ، ووقفٍ، وتجزئةٍ، وتسميةٍ، وأساليبَ- في تغيُّرٍ دائمٍ؛ طلباً لأفضلِ النتائج، بأيسر الأعمال والتكاليف.

٣- لا يستقيمُ أن تكون الكتاتيبُ بمعزلٍ عن العلوم الشرعية واللغوية، بل ينبغي لحامِلِ القرآنِ أن يكون له تطلُّعٌ دائمٌ إلى المعارف التي تدعمُ تحصيلَه القُرآني، فبذلك يجمع بين القرآن وما فيه من علمٍ، ليحْسُنَ العمل.

٤- لا تضادَّ بين الاعتدادِ بالماضي والاشتغالِ بالحاضر، بل الكمالُ والتألُّقُ ثمرةٌ مشتركةٌ للعَراقةِ والمواكبة؛ إذا أتقن المرءُ الجمعَ بين محاسنهما، واتِّقاءَ مساوئِ الحقبتين.

٥- سبرُ أسانيدِ الأعرافِ ونقدُها عملٌ يُفضي بالمرء إلى إحدى حُسنيين: تصويبِ تصوُّرِه، أو تغييرِ محيطه.

٦- المحافظةُ على الأمرِ العتيقِ ما أمكن وأفاد وساغ - مقصدٌ نبيلٌ، به يمدُّ المرءُ جذورَه عميقاً في أرض المعرفةِ، ثم هو تاريخٌ إنسانيٌّ ينبغي ألا يُهدرَ على أعتابِ الحضارة الزائفة.

التوصيات

أوصي إخواني الباحثين والمشايخ بالآتي:

١- إعدادُ دراسة مشابهة لهذه الدراسة في بقية المدن التي يُخالفُ اصطلاحُها اصطلاحَ مدينة مسلاته أو يوافقها، سواء في الرواية، أو الرسم، أو الضبط؛ إثراءً للموضوع، وإظهاراً لجمالِ خلافِ التنوعِ الحاصل بين المدن الليبية.

٢- أرى أن تُلزِم الهيئةُ العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية المعلمين التابعين لها باعتماد مزايا الطريقة العتيقة في تدريس القرآن الكريم، وعلى رأسها الإملاءُ على الطالب، وتصحيحُ إملائه مع تلاوته، وما أشبه ذلك.

٣- تشكيلُ لجانٍ فنيةٍ مختصةٍ لمراجعة الختمات الليبية المرتلة؛ لإبداء الملاحظات، وبيان ما هو صالحٌ منها للتداول، وما ليس كذلك.

٤- أحثُّ الباحثين على الاجتهاد في البحث عن المخطوطات الليبية المتعلقة بعلوم القرآن، واستخراجها من مظانها، وتحقيقها، ونشرها، وكذلك جمع المصاحف المخطوطة، ودراستها، والمقارنة بينها وبين كُتب الدراية، ليُرفعَ الرأسُ بصوابها، ويُتركَ ما لم يكن له أصل.

٥- أوصي المدرسين -ممن بلغهم هذا البحث- أن يُحدّثوا تلامذتَهم باصطلاح من سبق، فإنه يبعثُ فيهم الأمل، ويفتح لهم الآفاق، ويُقدِّم لهم العبر، ويفيدهم في تنمية ثروتهم المعرفية في هذا المجال.

٦- تكريمُ الشخصياتِ القرآنية من الرعيل الأول، ومَن له جهدٌ بارزٌ في القراءة، والإقراء، والتصنيف، وكل ما من شأنه إثراءُ هذا الأمرِ، وكذلك ينبغي الاستفادة من تجارب هذا الرعيل، والاستعانة به في تدوين حقبةٍ مهمةٍ من تاريخ هذا البلد -ليبيا- حفظها الله من كل مكروه، وأدامها بلداً للقرآن وعلومه.

ثَبْتُ المصادر والمراجع

مصحف الأوقاف الليبية، رواية قالون عن نافع.

مصحف الجماهيرية، رواية قالون عن نافع.

مصحف أمانة التعليم، رواية قالون عن نافع.

مصحف الجماهيرية، رواية البزي عن ابن كثير.

مصحف الشيخ صالح دخيل الجلاصي، رواية قالون عن نافع.

مصحف الشيخ محمد زهير أبو راس المسلاتي، (مخطوط).

١- الابتهاج بنور السراج، لأحمد بن المأمون البلغيثي، ط حجرية.

٢- الآداب الشرعية، لابن مفلح المقدسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ت شعيب الأرناؤوط وعمر القيّام، ط٣، ١٩٩٩م.

٣- أسهل المسالك في مذهب الإمام مالك، لمحمد البشار، دار الأندلس الجديدة، ش عبد الرحمن البرقوقي، ط١، ٢٠٠٩م.

٤- إفريقيا، لمارمول كربخال، ترجمة محمد حجي، محمد زنيبر، وآخرون، دار المعرفة، الرباط، ١٩٨٨.

٥- الإقناع في القراءات السبع، لأحمد بن علي ابن الباذش، دار الفكر، منشورات المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، ت عبد المجيد قطامش، ط١، ١٤٠٣هـ.

٦- أنوار البروق في أنواء الفروق، لشهاب الدين القرافي، ط وزارة الأوقاف السعودية، ٢٠١٠م.

٧- بدع القراء القديمة والمعاصرة، لبكر أبو زيد، دار الفاروق، الطائف، المملكة السعودية، ط١، ١٩٩٠م.

٨- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لعبد الفتاح القاضي، دار السلام، القاهرة، ط٣، ٢٠١٠م.

٩- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، ت أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦.

١٠- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، مطبعة حكومة الكويت، ت حسن نصار، ١٩٦٩م.

١١- تاريخ الفتح العربي في ليبيا، للطاهر الزاوي، دار المدار الإسلامي، ط٤، ٢٠٠٤.

١٢- تاريخ انتشار القراءات القرآنية في الجزيرة العربية، لخليل الدراركة، بحث نشرته كلية الأميرة رحمة، جامعة البلقاء، السلط، الأردن، المجلد ٤٩، العدد ٢.

١٣- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.

١٤- تحفة الأطفال، لسليمان الجمزوري، شبكة الألوكة، اعتناء يوسف عبد الجليل بن عبد الوهاب.

١٥- تحفة الأقران في ما قُرئَ بالتثليث من حروف القرآن، لأبي جعفر أحمد بن يوسف الرعيني، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ت علي حسن البواب، ط٢، ٢٠٠٧م.

١٦- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض، ت محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

١٧- تفسير ابن كثير المسمى بتفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء ابن كثير الدمشقي، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٩٩٩.

١٨- تفسير القرطبي المسمى بالجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، ت عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.

١٩- التنبيه على مبادئ التوجيه، لابن بشير المالكي، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٧.

٢٠- جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وأبناء الصبيان، لأحمد بن أبي جمعة المغراوي، ت أحمد البدوي ورابح بو نار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

٢١- الجامع، لأبي عيسى الترمذي، دار الغرب الإسلامي، ت بشار عواد، ط١، ١٩٩٦.

٢٢- جمال القراء وكمال الأقراء، لعلم الدين السخاوي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، ت عبد الحق القاضي، ط ١.

٢٣- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير مع تقريرات عليش، دار الفكر.

٢٤- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لمحمد عرفة الدسوقي، دار إحياء الكتب العربية.

٢٥- دراسات في علم المخطوطات، لأحمد شوقي بنبين، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط٢، ٢٠٠٤.

٢٦- دليل الحيران على مورد الظمآن، لإبراهيم أحمد المارغني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط١، ٢٠١١.

٢٧- الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، ت دغش بن شبيب العجمي، دار الإمام أحمد – الكويت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٢٨- الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة المكي، مركز البحوث والدراسات، الشارقة، ط١، ٢٠٠٦.

٢٩- السبعة في القراءات، لأبي بكر بن مجاهد، دار المعارف، مصر، ت شوقي ضيف.

٣٠- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، ت شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١٦، ١٤٠٩هـ.

٣١- شرح العقيدة الطحاوية، لصالح آل الشيخ، دار المودة، مصر، ط١، ٢٠١١.

٣٢- شرح تنقيح فتح الكريم، لأحمد عبد العزيز الزيات، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ت ياسر المزروعي، ٢٠٠٨م.

٣٣- شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني، لأبي عمرو الداني، اعتنى به وصححه خليل أبو عنزة، وضبطه غانم قدوري.

٣٤- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، مكتبة البشرى، كراتشي، باكستان، ٢٠١٦.

٣٥- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد البصري، مكتبة الخانجي، ت علي محمد عمر، ط٢، ١٤٣٤هـ.

٣٦- الطريق المأمون إلى أصول رواية قالون، لعبد الفتاح المرصفي، دار الكنوز.

٣٧- العلو للعلي الغفار، لشمس الدين الذهبي، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٩٩٥.

٣٨- عناية الأمة بالقرآن الكريم ـ نماذج وأمثلة، لمحمد بن فوزان العمر، بحث مقدم في ندوة المصحف الشريف عبر التاريخ، الجامعة الأردنية، كلية التربية، ٢٠١٢م.

٣٩- غاية النهايـة في طبقات القراء، لمحمد بن محمد بن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ت برجستراسر، ط١، ١٤٢٧هـ.

٤٠- غيث النفع في القراءات السبع، لعلي النوري الصفاقسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٤١- الفروسية المحمدية، لأبي بكر ابن القيم، ت زائد النشيري، دار عالم الفوائد، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدة.

٤٢- القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروزآبادي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨م، ت أنس محمد الشامي.

٤٣- قوانين النبوة، لموفق الجوجو، دار الكتبي، دمشق، ط١، ٢٠٠٢.

٤٤- كتاب آداب المعلمين، لمحمد بن سحنون، دار الكتب الشرقية، تونس، ت حسن حسني عبد الوهاب، ط٢.

٤٥- كتاب شرح ابن الوحيد على رائية ابن البواب.

٤٦- كتاب فعاليات المسابقة الثانية عشرة لحفظ وتجويد القرآن الكريم والموسم الثقافي المصاحب لها، مسلاته، ٢٠٠٥ مسلاته، مقال: مسلاته ومسيرة تحفيظ القرآن الكريم، للدوكالي نصر.

٤٧- الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، لعبد اللطيف بن دهيش، مكتبة النهضة، مكة المكرمة، ط١، ١٩٨٦م.

٤٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لجار الله الزمخشري، دار المعرفة، لبنان، ط٣، ٢٠٠٩م.

٤٩- مختصر بلوغ الأمنية شرح نظم تحرير مسائل الشاطبية، لعلي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩م.

٥٠- المدارس والكتاتيب القرآنية، وقفة تربوية وإدارية، مؤسسة المنتدى الإسلامي، الرياض، ١٤١٧ هـ.

٥١- المدخل، لابن الحاج المالكي أبو عبد الله العبدري، مكتبة دار التراث، القاهرة.

٥٢- مرويات دعاء ختم القرآن، لبكر أبو زيد، دار العاصمة، السعودية، ط١، ١٩٩٦.

٥٣- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ.

٥٤- مسلاته في العهد العثماني الثاني، لغيث عبد الله العربي، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، ط ١، ٢٠١٠.

٥٥- المسند، لأحمد بن حنبل، دار المعارف، ت أحمد شاكر.

٥٦- المصنف، لأبي بكر بن أبي شيبة، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ.

٥٧- معالم القراءة والإقراء في العهد النبوي من خلال شرح القصيدة الخاقانية للإمام الداني، لكامل بن سعود العنزي، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا.

٥٨- معجم البلدان الليبية، للطاهر الزاوي، مكتبة النور، طرابلس، ط١، ١٩٦٨.

٥٩- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م.

٦٠- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لشمس الدين الذهبي، ت طيار آلتي قولاج، إستانبول، ١٩٩٥.

٦١- المعلقات العشر وأخبار شعرائها، لأحمد الأمين الشنقيطي، دار النصر للطباعة والنشر.

٦٢- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، لأبي العباس الونشريسي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية - الرباط، ودار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٨١م.

٦٣- المقدمة، لابن خلدون، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ.

٦٤- مناقب علماء مسلاته الأخيار وطيب سيرهم من الأخبار، لنصرالدين بشير العربي، دار الحكمة، ط١، ٢٠٢٠.

٦٥- منظومة الدنفاسي في ضبط المتشابهات، للدنفاسي، اعتناء أحمد مصطفى متولي.

٦٦- منظومة طيبة النشر في القراءات العشر، لشمس الدين ابن الجزري، ت أيمن سويد، مكتبة ابن الجزري، دمشق، ط١، ٢٠١٢م.

٦٧- موسوعة الخط العربي، الخط الكوفي، لكامل الجبوري، دار ومكتبة الهلال.

٦٨- الموطأ، لمالك بن أنس، رواية يحيى بن يحيى، ت بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٩٤م.

٦٩- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، لعبد الفتاح المرصفي، مكتبة طيبة، المدينة النبوية، ط٢.

٧٠- الوافي في شرح الشاطبية، لعبد الفتاح القاضي، دار السلام، مصر، ط٤، ٢٠٠٦.

٧١- وصف إفريقيا، للحسن بن محمد الوزان الفاسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢.

المقابلات والروايات الشفوية

١- مجلس مع الشيخ المبروك إبراهيم العماري، جامع المجابرة، مسلاته، (٢٠٠٤م).

٢- مجلس مع الشيخ عبد الباسط الفرجاني، بفندق كورينثيا، طرابلس، خلال فعاليات مؤتمر الإمام نافع الدولي، (٣/ ١/ ٢٠٢٣م).

٣- مجلس مع الشيخ عبد السلام محمود الأسطى، ببيتي، مسلاته، (٥/ ٣/ ٢٠٢٣م).

٤- مجلس مع الشيخ عثمان الطاهر عيسى، بإدارة شئون القرآن الكريم بالهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية، طرابلس، شهر أكتوبر، سنة (٢٠٢٢) م.

٥- مجلس مع الشيخ عمران الفيتوري كشيدان، بزاوية يوسف الجعراني، مسلاته، سنة (٢٠٠٤م).

٦- مقابلة للمؤلف وزميله الشيخ لطفي عريبي مع الشيخ عبد الله سالم كشيدان، ببيته العامر، مسلاته، منتصف شهر رمضان، سنة (٢٠٢١م).

٧- مقابلة مع الحاج الشريف محمد بن نصر، ببيته العامر، بمصراته، صحبة الشيخ حسين عبد النبي كريّم، (٢٦ / ٢ / ٢٠٢٣م).

المحتويات

المقدمة ..... أ

تمهيد ١

المبحث الأول: اصطلاحاتُ أركان العمليةِ التعليمية ٩

المطلب الأول: اصطلاحُ المُعلِّمُ ٩

المطلب الثاني: اصطلاح المُتعلِّم ١٩

المطلب الثالث: اصطلاحُ الأدوات التعليميةِ ٢٣

المبحث الثاني: اصطلاحُ الوسائلِ التعليمية ٣٩

المطلب الأول: وسائلُ التلقِّي عن الأشياخ ٤٠

المطلب الثاني: وسائلُ الاستظهار وإتقانه ٤٤

المطلب الثالث: اصطلاحُ ضبط المتشابه ٥٦

المبحث الثالث: الاصطلاح التحريري ٦٥

المطلب الأول: اصطلاح الرسم ٦٥

المطلبُ الثاني: اصطلاحُ الضبط ٧٦

المبحث الرابع: الاصطلاح الأدائي ٨٧

المطلبُ الأول: اصطلاحُ التلاوة ٨٧

المطلب الثاني: اصطلاح الوقف والآي..... ١٠٣

المبحث الخامس: الاصطلاح الشكلي..... ١١٠

المطلب الأول: اصطلاح تجزئةِ القرآن الكريم ١١٠

المطلب الثاني: اصطلاح أسماء السُّوَر..... ١١٩

المبحث السادس: الاصطلاح الفقهي ١٢٧

المطلب الأول: اصطلاح الكتب العلمية الـمُدرَّسة في الكتاتيب ١٢٧

المطلب الثاني: اصطلاح المسائل الفقهية المتعلقة بالكتاتيب ١٣٢

الخاتمة ١٤٧

النتائج ١٤٨

التوصيات ١٤٨

ثَبْتُ المصادر والمراجع ١٥٠

المحتويات..... ١٥٩